جبران خليل جبران

حديقة النبي

ترجمة موازية للنصيّن الإنجليزي والعربي

د. ثروت عكاشه

دار الشروق

صفحة فارغة

حــديقــة النبـــى

حديقة النبـــى
جبـران خليل جبـران

ترجمة موازية للنصّين الإنجليزى والعربى :
د. ثــروت عكاشـــه

اللوحات المصوّرة :
جبران خليل جبران

صورة الغلاف وكافة اللوحات الإيضاحية :
الفنان صلاح طاهر

الإخراج الفنى :
مجدى عز الدين

الطبعة التاسعة ٢٠٠٠م

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٨/١٥٢٥٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N.: 977 - 09 - 0514 - 3

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ (٥ خطوط) - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧
البريد الإلكترونى : dar@shorouk.com

الطباعة: مطابع الشروق بالقاهرة

إطلالة على الحديقة عبر العصور

ما من شك في أن صدور كتاب «النبي» كان نقطة التحوّل الحقيقية في حياة جبران العقلية وفي توجيه طاقته الإنتاجية، فقد استمد جبران من تجاربه ومعارفه وآلامه ما ربط به علاقة الإنسان بالإنسان. وكان لابد له أن يتطور ويتسامى بعد ما أفرغ ما في جعبته من محن تعرّض لها في مختلف أطوار حياته. وحدّد جبران طريق غده بعد «النبي» فقرّر أن يتناول علاقة الإنسان بالطبيعة في «حديقة النبي» وعلاقة الإنسان بالله في «موت النبي»، وكان عليه أن يهيّئ نفسه لهذه المحاولة الكبيرة.

كان «جبران» في «النبي» معلّما يستخدم قالب «نيتشه» ولكن على طريقته الخاصة وبأسلوبه الخاص. وكان لابد له أن يهيّئ نفسه كي يتمكن من تصوير علاقة الإنسان بالطبيعة فاقتضاه الأمر ثلاث سنوات من حياته لم يطق فيها صبرا حتى يخرج لنا «حديقة النبي» فشغل نفسه بإخراج كتابيه «رمل وزبد» و«عيسى ابن الإنسان». ولعل تأليفه هذين الكتابين كان جهدا عقليا ووجدانيا جديدا هيّأه لإصدار «حديقة النبي». على أنه مات قبل أن يصدر كتابه «موت النبي» فكان موته هو الكتاب الذي أراد أن يحدّد به علاقة الإنسان بالله.

والیوم ونحن نقدم «حديقة النبي» في طبعته الثامنة يعنينا أن نوضّح أن «جبران خليل جبران» كان في اختياره الحديقة، رامزا لعلاقة الإنسان بالطبيعة، مستعيرا أسلوب القدامى، ملهمًا بروحه الشرقية، مستندا إلى عوامل التطور التاريخي في التعبير والتصوّر والتصوير جميعا. فقد لعبت الحديقة دورا فعّالا في عقائد البشر وفي خيالاتهم وفي آدابهم وفي فلسفاتهم أيضا. «فبوذا» - كما تذهب العقيدة البوذية - تلقّى الوحي وهو جالس تحت ظل شجرة، و«المسيح» عليه السلام ولد تحت جذع نخلة، ولمّا هاجر إلى مصر أنقذته «شجرة المطرية» من الأذى، و«محمد» صلوات الله وسلامه عليه أخذ البيعة من أنصاره تحت الشجرة. هذه الشجرة - وهي نبت من نبات الحديقة يفوح برائحة النمو ويوحي بالازدهار والترعرع - دخلت حياة الناس إذن مع عقائدهم، فأصبحت رمزا لما تتوق إليه نفوسهم من مُتَع وما تجيش به صدورهم من آمال.

وفي عقيدة قدماء المصريين أن الحياة الأولى انبثقت من العدم، «فخرج آتوم[1] من الماء ليجلس على برعم زهرة اللوتس. . . . وهي بدورها منبثقة من الماء». وفي عقيدة أوزيريس «استقر آتوم على الشاطئ بعد أن لفظه اليمّ فأظلّته

---

(١) كانت مدرسة هليوبوليس الدينية تعتبر آتوم هو خالق الكون. وكان شُو إله الهواء وتفينة إلهة الندى أول ما تولّدا منه. وعنهما تولّد جب ونوت وهما الأرض والسماء، وعن الأرض والسماء تولّد أوزيريس وإخوته الثلاثة.



الشجرة، وكانت إيزيس[1] قد عطّرت الحديقة وزيّنتها بكل محبة».

وأحاطت الحدائق بقصور المصريين ومنازلهم، وامتدت الأشجار أمام «بيوت الخلد»... مقابرهم، وزيّنوا جدرانها بزخارف الزهور والأشجار، وفي عقيدتهم أن «البا» [2] كانت تحلّق على هيئة طائر وتستقر فوق الأشجار، وترتوي من ماء البحيرة. كذلك تناثرت الحدائق في معابد الآلهه حيث تنبت أشجار البخور التي تأتي بها السفن القادمة من بلاد پونت[3].

---

(١) إيزيس في العقيدة المصرية القديمة هي أخت أوزيريس وزوجته وحاميته من أعدائه الذين احتالوا عليه وأدخلوه في صندوق وأغلقوه عليه وتركوه فيه حتى مات. وكان أخوه سيث هو خصمه اللدود. وظلت إيزيس تبحث عن أخيها وزوجها إلى أن انتهت إلى جبل قرب بيروت. وحين ارتد الإله حيا تقمص شجرة خضراء غدت رمزا للحياة بعد الموت. ويقال في ... أخرى إن إيزيس احتضنت جثة أوزيريس فردّت إليها قوتها وأنجب منها حورس. وكانت ثمة معركة حامية بين سيث الشرير شقيق أوزيريس وبين حورس فقد فيها الأخير عينه وكان النصر لحورس [المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية. د. ثروت عكاشة. لونجمان ١٩٩٠].

(٢) انتهي المصريون القدماء إلى الاعتقاد بأن جسم الإنسان من ظاهر وباطن، وأن الظاهر هو الجسم، وأما باطنه فقلب - أي عقل - ونفس وبهما حركة الإنسان. ورمزوا للنفس والعقل بطائر له رأس إنسان وذراعان يُظلّ المومياء مادًا لها بإحدى يديه شراعاً منشورا. وكانوا يسمّون هذا الطائر الذي لا يظهر إلا عند موت الإنسان « با ». [المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية. د. ثروت عكاشة. لونجمان ١٩٩٠].

(٣) بلاد الصومال.



وعلى ضفاف النيل ازدهرت الحديقة، وعلى جدران معابد الفراعنة في طيبة وفي الكرنك غرس تحتمس الثالث الأشجار التي جاء بها من آسيا.

وفي تل العمارنة أينعت الحدائق نابضة بالخضرة توشّيها الزهور والأشجار، وبين أسوار المعبد وجنبات القصور كانت الحديقة تتوسّطها الأنهار، وتتخلّلها حياض الماء، وتحفّ بها أشجار النخيل والسَّرو، وكروم الأعناب والخمائل. وانتشرت الزهور والظلال في الحديقة لتقرّ نفس فرعون، وتحقّق له المتعة التي كان ينشدها.

وفي أشعار الغزل المصري القديم كانت أزهار الحدائق تتخلّل أقوال العشّاق في مناجاة عذبة رقيقة: «إيه أيتها الأزهار، منك يخفق قلبي، وبين ذراعيك تلين إرادتي، ومن رؤيتك تستمد عيناي الضياء». ومن ذلك ما ورد على لسان شجرة من أشجار الحديقة: «إني أزهي أشجار الحديقة. . . . أظلّل الحبيبيْن عندما يسعيان إلى ظلّي وهما سكارى من خمر العشق».

أما في بابل فكانت الحدائق المعلّقة ـ المعروفة بحدائق «سميراميس» ـ إحدى عجائب العالم القديم. وفي تلك الحدائق جمع الملوك كل النباتات التي انشقّت عنها الأرض الطيّبة تكريما «العشتروط» إلهة الخصوبة.

وفي ملحمة البطل «جلجمش» يستقبل الإله «شماش» الأبطال في حديقته ذات الأشجار المحمّلة بثمار الفاكهة، وكانت هذه الفاكهة ترمز إلى الأحجار الكريمة.



على أن تطور الجماعة الإنسانية، ومحاولتها الاتصال بسواها من الجماعات الإنسانية الأخرى عن طريق الغزو لم تغيّر من مكانة الحديقة، ولم تمسّ اتصالها بالعقائد والطقوس، وإن كانت قد غدت رمزا للدين والدنيا معا. فملوك بابل أنفسهم، وقد اتخذوا من حديقتهم رمزا لتكريم إلهة الخصوبة، رأوا فيها أيضا رمزا للسيطرة والفتح، فسرى في اعتقاد الناس أن امتلاك الحديقة معناه امتلاك الكون. وهكذا تطورت الحديقة من رمز ديني إلى رمز ديني ودنيوي معا.

وانتقلت الحديقة من الفراعنة إلى الإغريق، ربما مع فكرة خلود الروح. انتقلت في شكل حديقة مقدسة مسوّرة بجوار آلهة الخصوبة. غير أن الحديقة لم تصادف لدى الإغريق نفسا مهيّأة لتقبّلها. فقد كان الإغريق مغرمين بالعقل. وكانت فلسفة الرواقيين[1] صوفية زاهدة، فلما دخلت الحديقة باهرة زاهية براقة كالدنيا، ندّدوا بها وتنكّروا لها.

وكانت الحدائق عند الرومان تعبيرا عن سيطرة النظام على الفوضى عن طريق الخيال الهندسي الرياضي،

---

(١) مدرسة فلسفية أسسها زينون (٢٠٠ ق. م) أساسها أن الحقيقة مادية تسودها قوة توجّهها هي الله. وما دامت الطبيعة تسير وفق العقل فمن الحكمة أن يسير الإنسان وفق الطبيعة منصرفا عن ميل العواطف والأفكار التي تحيد عن جادة القانون الطبيعي. وقد علّم زينون في رواق، وإليه نسبت الرواقية [المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية].



فاستشهد بها كونتليانوس في كتابه «علم البلاغة»[1] حين ضاهي علم البلاغة في تنظيم الكلام بخيال مصمّم الحديقة الرومانية في إخضاع الطبيعة للعقل البشري.

وفي الحديقة وجد الرومان متّسعا للتعبير عن أساطيرهم وعقائدهم. فأنشئوا فيها الكهف الذي زعموا أن «چوپيتر» كبير الآلهة قد قضى فيه السنتين الأوليين من حياته، كما أسرفوا في إقامة التماثيل والأركان بها، خاصة ما كان منها متصلا بإله من آلهتهم.

وافتنّ الرومان في تنسيق الحديقة وتجميلها وتوّجوا بها تلال روما السبعة، فأعادوا لها سمة التعبير عن العقائد بعد ما كادت فلسفة الرواقيين تمسخها، وتركوا ضفتي الغدير للحوريات «النایاد» رمز الرشاقة والجمال. وعندما كان صاحب الحديقة ورفاقه يتناولون الطعام والشراب في «المُنية» - التي تتوسط الحديقة - كان يتملكه الإحساس أنه يعيش في عالم مسحور، وأنه أصبح يشارك الآلهة اللهو والمتاع.

على أن هذه الحديقة الرومانية اندثرت حين تقلّصت إمبراطورية الرومان وبادت خرافة «البحيرة الرومانية»[2]، غير أن الحديقة لم تندثر من العالم، وإنما ظلت مزدهرة في مملكة الساسانيين بفارس. فأخذ الفرس يتفنّنون في

---

(١) Rhetorica

(٢) Marc Nostrum كان الرومان يطلقون هذا المصطلح على البحر المتوسط.

تنظيمها وتنسيقها رمزا لوحدة الإنسان والطبيعة. بل لقد أصبحت لحدائق فارس قوة السحر في نفوس الناس، فعن طريقها كان كسرى يمنح بركته للرعية، وعن طريقها كان يؤلّف بين مشاعره ومشاعرهم.

وقد اختفت تماثيل الآلهة من حديقة فارس التي اتجهت إلى التعبير عن حب الحياة والإغراق في الاستمتاع بلذّاتها. وانقسمت حدائق فارس إلى أربعة أجزاء متساوية، تفصلها قناتان متقاطعتان تقام عند تقاطعهما نافورة يجلس إليها كسرى ومن حوله ندماؤه. وبات كسرى في نظر الناس - وهو سيّد الحديقة وساحرها وباعث الحياة فيها - يمثّل الخصوبة وقوة الخلق في الطبيعة.

على أن شتاء فارس كان قاسيا على الحديقة بينا كان كسرى معنيّا بها أشدّ عناية. ومن ثم كان لابد أن يجد طريقة ينقل بها حديقته إلى حيث تحتمي من قسوة البرد، فابتكر فنانو فارس أساليبهم في نقل الحديقة من الطبيعة إلى داخل القصور بأن رسموا الحدائق على السجاد. وهكذا نشأ فن بارع لا يزال له أثره حتى اليوم، فلقد كانت الصلة بين الملك والحديقة عميقة الأثر حتى سرى في عقائد ملوك فارس أن مُلْكًا بلا حديقة مجرد من كل سلطان.

وجاء نشيد الأنشاد في العهد القديم ليشيع في الغرب أثر التصوّف الدائر حول الحديقة حين وصف الملك سليمان الحكيم شولميت وكأنها حديقة، وإذا هو يترنّم بها قائلا:



«نزلت إلى جنة الجوز لأنظر إلى ثمر الوادي وأرى هل ازدهر الكرم ونوّر الرمّـــان. . . . ارجـــعي ارجـــعي يا شولميت. ارجعي ارجعي فننظر إليك.

«ما أجملك أيتها الحبيبة وما أشهاك في اللّذات. قامتك مثل نخلة. وثدياك مثل العناقيد. قلتُ أصعد إلى النخلة وأمسك بسعفها فيكون لي ثدياك كعناقيد الكرم، وعُرف أنفك كالتفاح، وحلقك كخمر طيبة[1]».

ولقد قيل في تفسير نشيد الأنشاد إنه رمز لاتحاد يهوه والمسيح، وقيل إنه قصيدة عُرس، ثم قيل إنه رمز للمسيح وكنيسته أو المسيح والعذراء. غير أن ثمة فكرة أخرى شائعة بالفعل تذهب إلى أن حدائق الأديرة المسيحية المغلقة هي الرمز الذي قصد إليه سليمان حين تغنّى بشولميت في نشيد الأنشاد.

وفي عهد بني أمية تأثرت الحديقة العربية بادئ الأمر بالحديقة الرومانية، ولما انتقلت الخلافة إلى العباسيين تأثرت بالحديقة الساسانية. ولعب الخيال في شعب عريق الخيال خصيبه دوره في الحديقة العربية، فجمعت بين حديقة الرومان وحديقة الفرس، وبهذا غدت تعبيرا عن العقل والروح والعاطفة والدين والدنيا جميعا.

أخذ العرب عن الفرس «الجانب الفردوسي» بما فيه من أشجار ذات ظلال، وزهور ذات أريج، ومياه تترقرق

---

(١) ٦/ ١١، ٧/ ٦ ـ ١٠ توزيع أنسي الحاج.



سحراً للناظرين، وعن الرومان أخذ العرب الجانب المسرحي الذي اشتهرت به الحديقة الرومانية، كتماثيل الأسود في نافورة قصر الحمراء بغرناطة، وتماثيل النساء بقصر هشام في خربة المفجر، كما أخذوا عنهم المقصورة الحافلة بكل ما لذّ وطاب، والخميلة التي يحبوها الصيف بنوره الأخضر خلال النهار. وأضاف العرب إلى هذه الحديقة الخطوط العربية المستقيمة المتناسقة، تعبيرا عمّا في نفس العربي من جنوح إلى التجريد.

هكذا افتتن سلاطين المسلمين وأمراؤهم بالحدائق، فكانوا يعنون بحسن تنسيقها ويوفدون الرّسل يأتونهم من أقصى البلاد بأندر الزهور. فعل ذلك خلفاء بني عباس وحكام بلاد الإسلام، وفعل ذلك الحكّام الأتراك، وكان خمارويه بن أحمد بن طولون حاكم مصر في عهد خلافة المعتمد والمعتضد صاحب بستان شهير في الفسطاط، انحنى عليه المؤرخون مثل المقريزي بالتأمل والوصف المسهب الطويل.

وفعل ذلك أيضا سلاطين المماليك الأتراك والشراكسة، وقد تحدّث المؤرخون عن ولع قانصوه الغوري آخر سلاطين المماليك في مصر بالزهور وعن بستانه اليانع في القلعة، وعن غرسه العديد من الحدائق في مدينة القاهرة. وكذلك فعل بابر التيموري فاتح بلاد الهند ومؤسس أسرة السلاطين المغولية الهندية حين أنشأ الحدائق تخفيفا عن جنده من قيظ تلك الأقاليم اللافح.



وللأستاذ لوي ماسينيون رأي في نظرة الحضارة الإسلامية إلى الحديقة، مقارنا بينها وبين النظرة الغربية إليها: «فهي في الحضارة الإسلامية على صورها المختلفة شرقا وغربا، في غرناطة ومراكش وبغداد وأصفهان، لها صفة الثبات والاستقرار اللذين يبعثان على التأمل وإطلاق الخيال انطلاقا يمتد إلى آفاق بعيدة حسّية ومعنوية. والحديقة الإسلامية بهذا الوصف لا تتفق في شيء والحديقة الغربية وإن كانت كل واحدة منهما تضم ما تضمّه الأخرى من أشجار وأزهار». وهو يحدّثنا عن الحديقة الغربية منذ مولدها مع الإمبراطورية الرومانية وامتدادها حتى عهد آل مديتشي بفلورنسا ولويس الرابع عشر بڤرساي، فيذهب إلى «أن الفكرة وراء تنسيق الحديقة الغربية كانت ترمز إلى السيطرة على العالم متخذة من تلك الحديقة نقطة الوسط أو المركز.. من أجل هذا رأينا خطوط المنظور في تلك الحديقة الغربية تمتد إلى مدى البصر، كما تعكس مياه الأحواض الأبعاد المترامية التي تحيط بها أشجار مشذّبة تشذيبا بالغ الدقة. وهذا وذاك كان يوحي إلى من يتطلع إليها بأن يستوعب الجهات الأربع المحيطة بها. هذه النظرة المنطلقة بلا حدود التي تمليها الحديقة الغربية كانت على الضد منها النظرة للحديقة الإسلامية التي كانت تحجب البصر عن أن يجاوزها إلى ما سواها من عالم خارجي، وقد تجمّع فيها كل شيء وليس ثمة شيء يُطمع فيه خارجها. وأكثر ما كانت تلك الحدائق الإسلامية في

الصحراوات، تحتل منها حيّزا تبعث فيه الحياة بتلك الأنابيب من المياه الممتدة إليها، ويحيط بها سور عال إمعانا في العزلة التي قصد إليها بإنشائها، فليس ثمة بصر من الخارج ينفذ إليها، كما أنه ليس في مقدور بصر من الداخل أن ينفذ إلى خارج تلك الأسوار. هذا إلى ما كنّا نلحظه في تلك الحديقة الإسلامية من تكاثف الأشجار شيئا فشيئا حتى إذا ما بلغنا الوسط كانت الأشجار أشدّ ما تكون كثافة. وفي الوسط الذي كان مكان الاستقرار والسكينة كان ثمة جوسق يقوم إلى جانب نافورة تتدفّق مياهها، وهوما يشير إلى أن الطائف حين يبلغ هذا المكان يكون قد بلغ الغاية وعليه أن يقرّ ولا يسعى إلى غيره. ومن هنا كانت تلك الحديقة على النقيض من الحدائق الكلاسيكية والحدائق اليابانية، فعلى حين كانت هذه الحدائق وتلك تهيّئ إلى نظرة انطلاقية كانت الحديقة الإسلامية تهيئ إلى نظرة قابعة انعزالية».

وهذا الوصف الذي انتهي إليه ماسينيون عن الحديقتين الغربية والإسلامية برغم طرافته يمثّل الواقع الظاهر لا شك في ذلك. لكن فاته أن الحديقة الإسلامية تعكس ما انتهي إليه وجدان رجل الصحراء، فالخلفيّة الفكرية لماسينيون النابعة من احتكاك الإنسان الأوربي ببيئته الطبيعية وعمادها النظرة الانطلاقية التي أملت على مصمّم الحديقة أن يمتد بها صوب الأفق في تواؤم مع بيئته الغنية بالخضرة والنبات، تختلف في جوهرها عن فكرة تصميم الحديقة الإسلامية

ذات الأسوار العالية حماية لها من البيئة الصحراوية الجرداء بقيظها وزوابعها الرملية، فتغدو من ثم واحة وسط الصحراء. ولاشك أن هذا التباين في وجهتي النظر هو أمر شائق يدعو إلى التأمل والتحليل، لأنه يجلوَ الاختلاف بين الوجدان الغربي والوجدان العربي.

فعلى الرغم من أن ماسينيون قد تعمّق في بحث الفكر الصوفي الإسلامي، إلا أنه فسّر وجود أسوار الحديقة الإسلامية العالية بأنها تكشف عن نظرة انعزالية قابعة، وغاب عنه أنها أقيمت لحمايتها من عوامل الطقس والبيئة. أما فيما يتصل بكثافة الأشجار في بؤرة الحديقة الإسلامية فمردّ ذلك إلى سبب يتعلّق بنموّها وترعرعها حيث تحجب الأسوار عنها قدرا كبيرا من عوامل الفناء. وهكذا تكاثفت الأشجار في وسط الحديقة حيث الشمس والهواء والريح الخالية من ذرات الرمال، وكان من الطبيعي أن يستقر الجوسق في قلب الخميلة.

وقد شغلت الحديقة فكر متصوّفي الإسلام أكثر مما شغلت فكر غيرهم من المسلمين، فهي مفزعهم الأول في الحياة الدنيا، وحلمهم الكبير في الآخرة. أو لم ير جلال الدين الرومي أن كل ما في الحدائق من زهور ومياه وينابيع وأشجار هي تجلّي الجمال الإلهي والنموذج الأمثل للجنة العليا، وتنسّم المتصوّفة في كل وردة نفحة من عطر الجنة، وتسمّع الصوفية في حفيف الورود إلى تسبيحها لله... «وإن ما من شيء إلا يسبّحَ بحمده»، وكان ذو



النون المصري يعلّم مريديه أسرار هذا التسبيح الذي تشارك فيه الخليقة كلها قبل القديس فرنسيس الأسيزي بأربعة قرون .

ويُحكى عن المتصوفين الأتراك أن المتصوّف الشيخ سنبل أفندي طلب يوما إلى مريديه أن يجمعوا بعض الأزهار لتزيين «الخانقاه» فإذا بهم يختارون أجمل الزهور على حين أتى الشيخ مركز أفندي بزهرة ذابلة معتذرا بأنه رأى الأزهار جميعها مشغولة بالتسبيح والحمد فلم يشأ أن يقطف وردة تسبّح بعطرها ، ولا زنبقة تَذْكُر بألسنتها التسعة ، ولا نرجسة تحمد الله بعيونها الذهبية ، فأتى بوردة خمدت فيها الحياة بعد انقطاع تسبيحها ، فأقامه الشيخ خليفة من بعده .

على أن المتصوّفة قد جعلوا من الورد رمز الحديقة نفسها ، وعدُّوه أجمل تعبير عن جمال الله وجلاله . وما قصة «العندليب والوردة» الشهيرة في الأدب الفارسي شُهرة قصة«ليلى والمجنون» في الأدب العربي وقصة «فرهاد وشيرين» في الأدبين الفارسى والتركي إلا تعبير أدبي صوفي عن عشق الروح الإنساني للجمال الإلهي المطلق ، ومعاناتها في هواها أقسى المحن حتى يأتي الموت ليحملها إلى محبوبها . ففي الحياة الدنيا يستحيل لقاء الروح العاشقة للجمال الإلهي المطلق .

على أن الحديقة انعكست أيضا على الشعراء العرب والفرس ، كما انعكست على أصحاب الفنون والفلاسفة .



ففي الشعر الفارسي دعا الشعراء إلى التمتع بجمال الحديقة قبل أن يدرك الإنسان الموت الرابض في أرجائها . . . قبل أن تذبل الوردة ويكفّ البلبل عن التغريد . وإذا كان الشاعر الفارسي قد اتخذ من الحديقة دعوة إلى التمتع بجمال الدنيا والإقبال عليها ، فإن الشاعر الصوفي المسلم تغنّى بالحديقة وبالبستان على أنهما ملتقى العاشق والمعشوق ، أو الصوفيّ والحقيقة . . . ملتقى روحي يخفّف عنده ما في نفسه من العشق الإلهي .

وبينما نجد عمر الخيام يقول :

بستان أيامك نامي الشجر ،

فكيف لا تقطف غضّ الثمر .

اشرب فهذا اليوم إن أدبرتْ

به الليالي لم يُعدْه القدر .

جادت بساط الروض كفّ الحساب ،

فنزّه الطّرف وهات الشراب .

فهذه الخضرة من بعدنا

تنمو على أجسادنا في التراب(١) .

بينما يقول «الخيام» هذا نجد البحتري وأبا تمام يكتفيان بتصوير الحديقة في شعرهما تصويرا جميلا بارعا ، ولكن

---

(١) رباعيات الخيام ، ترجمة أحمد رامي ، ص ٤٩ ـ ٥٠ . الطبعة الثالثة القاهرة ، ١٩٥٠ .



دون أن يخرجا من التصوير إلى استلهام ما توحيه الحديقة من فلسفة في الحياة وفي السلوك . وربما كان ابن خفاجه والرمادي، وابن زيدون، وابن حزم من شعراء الأندلس هم الذين جمعوا بين العنصرين معا : تصوير الحديقة، واستلهام ما توحيه من فلسفة وسلوك، وإن كانوا قد اكتفوا في تعرّضهم للحب بالحب العذري المتسامي عن الإغراق في المتاع .

والواقع أن تأثر الشعر والفن بالحديقة كان مزيجا من حب الجمال ومن الفرحة التي يستشعرها من يأوي إلى الحدائق في بلاد تغلب الحرارة على أجوائها والقحط في أراضيها، ومن التأثر بالفكر الصوفي السائد الذي ربط بين حدائق الأرض وجنة السموات رمز النعيم والخلود في الدار الآخرة .

وقد بلغ حب «الصنوبري» لحديقته وافتتانه بجمالها درجة الغيرة من الطامعين في ورودها اليانعة فقال :

ورد بدا يحكي الخدود ونرجس ... يحكي العيون إذا رات احبابها

ونبات باقلاء يشبه نوره ... بلق الحمام مشيلة اذنابها

والسرو تحسبه العيون غوانيا ... قد شمرت عن سوقها اثوابها

وكان إحداهن من نفح الصبا ... خودا[1] تلاعب موهنا اترابها

لو كنت املك للرياض صيانة ... يوما لما وطئ اللئام ترابها

---

(١) الأنثى الفاتنة .



وترنّم شعراء تركيا وإيران والهند بجمال الحدائق وما ضمّت من أزهار، وخلعوا عليها من الأوصاف ما خلعوه على أحبابهم من البشر. فوصف جلال الدين السيوطي البنفسجة بأنها: «سماوية اللباس، مسكيّة الأنفاس، واضعة رأسها على رُكْبتها كعاشق مهجور».

ووصف المعتمد بن عباد الياسمين قائلا:

كأنما ياسميننا الغض	كواكب في السما تبيض
والطرق الحمر في بواطنه	كخدّ عذراء مسّه عض

ورأى ابن المعتز في الورد:

بياض في جوانبه احمرار	كما احمرّت من الخجل الخدود

وما أكثر ما بكى الشعراء سرعة فناء الورود، ورأى فيه شعراء فارس كناية عن زوال الودّ والوفاء في الحياة الدنيا، ومع ذلك شاع اتخاذ الأزهار رموزا للمحبوب، فالنرجس عينه، والورد خدّه، والسرو قوامه الممشوق، وشقائق النعمان ثوبه الحريري، حتى غدا الحبيب حديقة بشرية عطرة غنّاء، وحتى صارت الحديقة نفسها منحة من جمال الحبيب، في وردها خدّه وفي نرجسها عينه وفي سروها قوامه.

والتقط الفنانون خيط الإلهام فأخذ الرسّامون يصوّرون الأزهار على جدران المساجد والأضرحة، ومضى النسّاجون يضمّنونها قماشهم النفيس. وكان الخطّاطون أروع توفيقا حين أخذوا يدمجون الزهور في كتاباتهم،



فأبدعوا الخط الكوفي المزهر والخط النسخي السابح وسط الأوراق والزهور، وهو ما تمخّض عنه فن «الأرابيسك»، الذي تتعانق فيه الأوراق والزهور متتابعة في دوائر تضلّ فيها العين، وتترك عالم الطبيعة إلى عالم الفكر صاعدة إلى جنة السماء نحو خالقها ومبدعها الجبار. وهو نفس الدور الذي من أجله امتلأت جدران المساجد بهذه الزخارف المستلهمة من مكوّنات الحديقة لتصعد بالمصلّي إلى الخالق وإلى تذكّر جنّات النعيم، والتي ليست الحديقة الدنيوية إلا رمزها المتواضع الفوّاح دائما بالعطر والمحرّك للفكر صوب عالم السماء.

وعن العرب انتقلت الحديقة إلى الغرب عن طريقين: حكم العرب للأندلس، والحروب الصليبية. ففي الأندلس كانت الحديقة تعبيرا صادقا عن روح «الإسباني المسلم»، الذي اتخذ من الماء والورد رمزا لأحلامه وتأملاته في الدين والحب والجمال، وكانت النافورات، وأحواض الزهور، والقنوات، تنافس الزخارف البديعة التي تكسو الجدران في قصر الحمراء.

وتخيّل الغربُ الشرقَ وكأنه حديقة مترامية الأطراف... حديقة غامضة مسحورة يكسوها ليل أزرق صافي الأديم يجعل الحياة فيها أشدّ عذوبة، والورود أزكى عبيرا والنجوم أقوى سحرا... يتخلل ذلك السحر الفتّان شدوُ العندليب، وخرير مياه القنوات، وتنهّدات الجواري. وهكذا استبدّ سحر الشرق وسرّه وغموضه برجل الغرب،

وانعكس هذا كله على إنتاج الشعراء وأهل الفنون، فأخذوا يتغنّون بالشرق هربا من مادية الغرب المتجهّمة وما تنطوي عليه من جفاف وفراغ روحي، أو يقصدون الشرق كي يرتووا من ينبوع العلم والمعرفة.

وقد تغنىّ شعراء الغرب بحدائق المسلمين في الشرق التي هاموا بصور جمالها الخيالية المرتسمة في أذهانهم عبر قراءاتهم لحكايات الصليبيين عن الشرق العربي، وما نقله شعراء التروبادور من شعر الأندلس، وعبر قراءاتهم لشعراء فارس وخاصة حافظا والسعدي اللذين هاما بالورود وشبّها المحبوب بأجمل الزهور.

أما في أوربا فقد أوحت الحديقة بقصص الزهور، وشكّلت الورود عنصرا هاما من عناصر هذه القصص وخاصة في «قصة الوردة» المعروفة[1].

على أن الحديقة في أوربا وجدت أجمل تعبير عنها في

---

(١) «قصة الوردة» هي قصة رمزية ذاعت خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وهي تكشف بأسلوبها الشعري الساحر عن صورة لقصص الفروسية في القرون الوسطى، وتحكي تنافس الفرسان في سبيل الوصول إلى قلب «سيدة القصر». وقد ألف الجزء الأول من هذه القصة الشاعر جيوم ده لوريس في أوائل القرن الثالث عشر، على حين ألف الجزء الثاني چان دو مون في القرن الخامس عشر.
وجاء الجزء الأول على غرار ديوان «فن الهوى» للشاعر أوڤيد، وإن كان الهوى فيه عذريا طبقا لأخلاقيات العصور الوسطى. يروي فيه جيوم ده لوريس حلما ينشد فيه عشق وردة جميلة في بستان منيع، تساعده تارة على إدراكها وتمنعه من ذلك تارة أخرى صفات مجردة =



فن التصوير الديني، فاستعادت الحديقة المغلقة المسوّرة سمات جنة الله في أرضه، بيد أنها لم تعد «الفردوس الفارسي» الذي تعزله الأسوار عن العالم الخارجي، ويتغنّى فيه البلبل بغرامه للوردة، والشاعر بعشقه للقيان الحسان. فقد انتزعها الباحثون عن الحب الإلهي من عالمها الخاص، فصُوِّرت العذراء وطفلها إلى جانب الزهور السماوية التي تُشيع في البصر حبورا وفي حاسة الشم نشوة، وأشجار الفاكهة الحلوة المذاق، والموسيقى التي تنبعث من النافورات لتشنّف الآذان.

= مجسّدة مثل القول الرقيق أو الحسد أو العفّة أو ما إلى ذلك. فيدعوه فيه الكسل إلى الحديقة حيث الأشجار والورود والطيور، ليحاور شخوصا رمزية كاللذة والحنان والثراء وإله الحب نفسه. وما يلبث أن يكتشف وردة جميلة يهمّ باقتطافها، فيفرض إله الحب عليه شرعة الحب العذري. وتكلّل مساعي العاشق لاقتناء وردته بالنجاح تارة والفشل أخرى بتدخل شخوص رمزية جديدة تحبط في النهاية محاولاته كما يثنيه العقل عنها. وما تلبث الشفقة وڤينوس أن تعاوناه لنيْل قبلة من الوردة. لكن الافتراء سرعان ما يطلق لسانه بالوشاية، ويضرب حصارا حول الوردة، ويحيطها بسياج، ويكل حراستها إلى قهرمانة. غير أن چان دو مون يتخذ أسلوبا آخر لإتمام القصة مضمّنا موضوعه أفكارا ثورية جديدة يقلب فيها موازين المفاهيم والقيم مستخدما الرموز نفسها، ولكن بهدف النيل من المرأة وفقا للتقليد الأدبي الراسخ المعادي للمرأة خلال العصور الوسطى. وفي قصته تتتابع المصاعب في وجه العاشق، ويستمر النفاق [في صورة راهب] محاصرا للقلعة ومعاونا الافتراء في مهمته. ثم ما تلبث الطبيعة أن تتدخل، وتهبّ ڤينوس للنجدة، فتطرد الخطر والعار والخوف، وتفسح القهرمانة الطريق للعاشق كي ينال وردته الحبيبة.



وفي كتاب «رموز الشرق القديم» لوحة مأخوذة عن «برنز» تمثّل العذراء مريم تحيط بها حاشيتها من الملائكة، كما تمثّل البستان ذا الأسوار والزوايا الأربع، والمعبد الدائرى، والبرج والبوابة، والبئر، والنافورة، وأشجار النخيل والسرو - وهي أشجار الحياة - فلا غرو أن ذهب البعض إلى أنها رؤيا «الغبطة السماوية».

كل هذه الرموز كانت توحي بصورة الأنوثة في المرأة، كما تزيح الستار عن جمالها المتألق المتعدد السّمات. وقد غزت تلك الرموز الشرق والغرب على حد سواء، وجعلت أحلام الرجل في كل مكان تتنفس من خلالها.

وكما تسرّب ذلك التأثير إلى الغرب عن طريق حكم العرب للأندلس، فإنه قد شاع أيضا خلال الحروب الصليبية وما خلّفته من قصص رواها الصليبيون عند عودتهم إلى بلادهم، فكان لما شاهدوه في الشرق أثره العظيم في تصوير الحديقة عند الغرب، ويتمثّل هذا الأثر كما أسلفنا في قصة الوردة التي كانت ترنيمة رخيمة تتغنّى بالحب.

وسرعان ما سرت إلى إيطاليا اللهفة على تذوّق لذة الحياة والنهل من مباهجها، والاستمتاع بجمال الزهور وما يفوح منها. فغدت فلورنسا في منتصف القرن الرابع عشر عاصمة الفن حيث امتدت الحدائق على ضفتيْ نهر الأرنو. وفي كتاب «ديكاميرون» أو الأيام العشرة نرى بوكاشيو

يدعو صحبه إلى «الحديقة» كي يسترسلوا في رواية قصصه المشهور.

ثم انتقلت الحديقة بعد حملات فرنسوا الأول من إيطاليا إلى فرنسا، فانتشرت الحدائق حول قصور اللوار، وبدأ شعراء عصر النهضة في القرن السادس عشر يتغنون في قصائدهم بجمالها إلا أنهم تطلعوا إليها بعيون مترعة بذكريات الأساطير الإغريقية، فرأوا الحديقة زاخرة بالحوريات، مُصيخين السَّمع إلى صيحاتهن الفزعة إثر مطاردة الإله پان[1] لهن.

وأصبحت الوردة بالنسبة للشاعر رونسار رمزا لجمال المرأة الزائل حينا، ورمزا لجمال الحدائق وعظمتها أحيانا أخرى، فقد كان يؤمن بأن كل جميل يستمد لونه وعبيره وسناه من الوردة. وفي ذلك قال:

«الوردة عطر الآلهة،

والوردة فخر العذارى،

تهفو صدورهن إلى الورود المتفتّحة،

أكثر مما تهفو إلى تحفة من الذهب لا تقدّر بمال...»

(١) أنجب هيرمس إله الخصب عند اليونان «پان» الذي غدا بدوره إلها للرعاة والصيّادين في أركاديا، ثم انتشرت عبادته وكهنته في جميع أنحاء اليونان. وورث پان عن أبيه المرح فمضى يتجوّل في الغابات يراقص الحوريات ويعزف على القيثارة والمصفار أجزل النغم ويحسن التنبؤ وتفسير الأحلام، [المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية].

وغدت الحديقة في فرنسا ـ كما كانت في إيطاليا ـ وثبة نحو الجمال ورغبة شديدة في خلق حياة سامية عمادها الفن وسط الزهور والنافورات والحفلات.

ورأى شعراء الغرب في الحديقة المزدهرة تعبيرا عن العلاقة الوثيقة بين الإنسان وبين الطبيعة التي ينشأ وسطها ويكتسب بين أحضانها معاني الحب والارتباط بالأرض، حتى تحدّث أحد شعرائهم إلى نفسه حديثه إلى حديقة غناء:

أنت حديقتي الرفيقة الهدوء

فردوسي المُفعم بالزهور

فيه ألتمس الراحة والنسيان

وآوي إلى دنيا أخرى أبهي جمالا

أنعم فيها برخاء حرمتني إياه الأقدار.

وإذا كان التطور المادي قد أخذ يزعزع الكثير من القيم العريقة في أعماق الإنسان ويحرف نظره بعيدا عن الطبيعة، إلا أن النفس البشرية لم تلبث أن استيقظت من جديد بكل ما تنطوي عليه من حنين دفين إلى الطبيعة وقد افترّ ثغرها ثانية عن بسمة للحدائق والبساتين.

بات الحب في القرن السابع عشر وحي الأدب، وعاد ذوق العصر يتجه إلى تفضيل قصص الريف والخلاء. لم تعد الحديقة المسوّرة هي الإطار الصالح للقصة، بعد ما بدأ



المؤلف يؤثر عليها منظرا خياليا تنطلق فيه الغرائز، وتمتزج فيه الحقيقة بالخيال، ويستبدل بالأسماء الواقعية أسماء أخرى زاخرة بالجنان والذكريات، مستوحيا ذلك من بعض المفردات العاطفية، ومن هنا نشأ ما اشتهر في الأدب باسم «خريطة الحنان». وكانت مادلين ده سكوديري [١٦٠٧ ـ ١٧٠١] هي أول من ذكرت هذه الخريطة المشهورة في روايتها «كليلي»، حيث صوّرت ثلاثة أنهر تخترق ما أسمته «بلاد الحنان» وأطلقت على هذه الأنهار أسماء: «الهوى» و«التقدير» و«الامتنان». وصوّرت على ضفة كل منها مدينة أطلقت عليها اسم «حنان»: «حنان» على ضفة الهوى، و«حنان» على ضفة «التقدير»، و«حنان» على ضفة «الامتنان». فإذا شاء العاشق أن ينتقل من مدينة «الصداقة الجديدة» إلى هذه المنطقة الساحرة، فعليه أن يمرّ بقرى «الأشعار الرقيقة» و«رسائل الغزل» وغيرها، أو أن يسلك طريقا آخر يقوده عبر قرى «الوداد» و«اللفتات اللطيفة» و«الشوق» وغيرها. أما إذا ابتعد العاشق عن هذا الطريق فقد يصادف قرى «الإغفال» و«الفتور» و«النسيان» لينتهي إلى بحيرة «الجمود».

وفي منتصف ذلك القرن كان المذهب الكلاسيكي قد استقر وبلغ طراز الباروك أوجه. والثابت أنه لم يقض على الولع بالطبيعة في قلوب الشعراء، وإنما شاء أن يهذّبها كما هذّب العشق والعاطفة من قبل. وعندما خطّط «لونوتر» حدائق ڤرساي انحصر كل همّه في تنسيق الحديقة

وإشاعة التجانس والتناغم في أنحائها، فحولّها فتنة للناظرين وسحرا يخلب الألباب، جمعت الزهور والمرمر والبرونز، تحفّها المياه المنسابة في القنوات لتؤلف عالما فريدا بديعا. واستعان «لونوتر»في تزيين هذه الحدائق بالمنحوتات التي زيّن بها القصر نفسه، لينشئ من القصر وحديقته عالما مغلقا له قوانينه ورموزه الخاصة به. وفي أرجاء هذا العالم الفريد وبين جنباته مثّلت مسرحيات موليير، كما عزفت لأول مرة موسيقى لوللي، فكان أن قام بين الفنون والحديقة تأثر وتأثير: فرضت الحديقة على المسرح النافورات والمزهريات المصنوعة من المرمر، وفرض المسرح على الحديقة الممرّات الجانبية لدخول الممثلين وخروجهم، فضلا عن توافر المساحات الفسيحة حتى يستطيع الممثلون القيام بأدوارهم في يسر، كما فرض عليها المسرح تنظيم الإضاءة حتى يتسنّى للمتفرج الاندماج في الجو الفني الذي تفرضه التمثيلية. وهكذا صوّر القرن السابع عشر الحديقة متعة للنظر وللعقل معا، فانتظمت أشجارها واتسقت أزهارها لتصبح في الوقت نفسه انتصارا للعقلانية على الطبيعة.

وعندما تنكّر القرن الثامن عشر قُرب نهايته للمذهب الكلاسيكي تنكر أيضا للحديقة الفرنسية، ولكن ما لبث چان چاك روسو ومعه جيله أن نادوا بالعودة إلى الطبيعة. وحين أدرك الإنجليز أنه في الإمكان تنسيق الحدائق بعناصر مستمدة من الطبيعة الحقيقية مباشرة، غدت الحديقة الصينية «شاراواجي» نموذجا للحديقة المعاصرة.



ثم لم يلبث المصورون الإنجليز متأثرين بالمدرسة الهولندية أن سخّروا الفن لتسجيل الطبيعة كما هي، فتدفّقوا على الريف يصورون ما يحويه من حقول القمح والمراعي المزدهرة والدروب المتعرّجة، مؤمنين بأن هذه المشاهد الخلاّبة هي أركان الفن السّويّ. وبات غرس الحديقة إنجازاً فنيا مثلما غدا رسمها إنجازا فنيا من نوع آخر. ولم تعد الحديقة منظرا مسرحيا فحسب ينتظر وصول الممثلين، بل نالت حقها بوصفها لوحة فنية مكتملة كما اعتاد أن يرسمها من قبل پوسان وكلود لوران خلال القرن السابع عشر.

على أن القرن الثامن عشر لم يكن عصر المؤلفات الفلسفية فقط وإنما كان أيضا عصر الموسيقى. ولقد تأثر مؤلفو الموسيقى في هذه العصر بجمال الحدائق تأثرا بالغا، يحسّ كل منهم أنه يكوّن وحدة لا تنفصل عن الطبيعة. فعبّر هايدن عن هيامه المفرط بالطبيعة في أربع من سيمفونياته، أطلق عليها أسماء «الصباح» و«الظهر» و«المساء» و«العاصفة». وليس عسيرا أن نتبين بين أنغام السيمفونية الأولى نشوة العصافير عند شروق الشمس، في حين نهتز لزئير العاصفة في السيمفونية الأخيرة. ويفيض أيضا قلب «موتسارت» بحب الطبيعة فنصغي بين ثنايا مؤلفاته الموسيقية إلى خرير المياه ونستشعر سحر الغابات وجمال الورود وجلال الحقول. إلى أن كان المذهب الرومانسي، وكان چان چاك روسو أول من مهّد الطريق

إليه، فأفاد هذا المذهب من الولع بالطبيعة، إذ بعثت حماسة «چان چاك روسو» للطبيعة في نفوس معاصريه راحة ذهنية ونفسية بعد أن كادت ثورة العلم والفلسفة على الطبيعة تُخمد في نفوس الناس الإحساس بالشعر والعاطفة، بالرغم من حنينهم إلى الطبيعة، فالعلم ضرورة والفن ضرورة.

وفي أعقاب الثورة الفرنسية، وبعد حروب ناپليون وما كابده الناس من أهوال عاد «شاتوبريان» يتغنى بجمال المراعي والبحيرات وضفاف الأنهار، حتى لقد عزا عدد كبير من النقاد النجاح الباهر الذي صادفته قصته «أتالا» إلى لوحات الطبيعة «الإكزوتية» الرائعة التي احتواها هذا الكتاب أكثر مما عزوها إلى الموضوع نفسه.

وكان لشعر «لا مارتين» صدى حماسي عميق لأنه أعاد إلى القلوب خفقها النابض بالحياة، فحدّثنا عن أشياء تبدو صمّاء جامدة، لكنها في الواقع تفيض حياة وخصوبة. ومن بين ما أنشده في وصف الطبيعة أبياته المشهورة:

«والجداول بمهادها الناضرة والظلال التي تكتنفها،

تجذبني إلى قضاء اليوم كله على ضفافها.

فتغفو روحي على خرير مياهها.

كما يغفو الطفل تهدهده أغنية رتيبة».

وهكذا عادت الطبيعة موضوعا رئيسًا يستلهمه الشاعر أو الكاتب ويستوحي منه شعره وكتاباته، وهذا هو ما هدى



«ألفريد ده موسيه» إلى طريقه الذي مضى يتحسّسه وهو غارق بين الخمر والنساء والحب، فاعتنق الرومانسية وعالج بها فنه مستلهما إياه من حواسه ومشاعره الخاصة. وحين عرّف الرومانسية قال: «إنها نجم يبكي وريح تئن وليل يرتعش وزهرة تطير وعصفور يفوح أريجه. إنها ينبوع غير متوقّع ووجدان كسل وبئر يظلّله النخيل وأمل قرمزي وآلاف من أشكال الحب، وملاك ولؤلؤة ووردة الزيزفون البيضاء...».

كما عبّر مؤلفو الموسيقى في هذا العصر مثل شوبيرت، وشومان، ومندلسن، وبرامز، وشتراوس، وغيرهم، في كثير من أغانيهم وموسيقاهم عن افتتان صادق بالطبيعة. ولعل هذا الافتتان كان امتداداً للنزعة المتحرّرة في تصميم الحديقة الإنجليزية على غرار الطبيعة خلال الحركة الرومانسية في أوربا بعد تداعي نزعة فرض النظام في تصميمها. ولا يفوتنا أن نذكر أن الموسيقي العبقري «بتهوڤن» قد استلهم هو الآخر سحر الطبيعة فألف «السيمفونية الريفية» تمجيدا للطبيعة»، واستطاع ڤاجنر أن يعبّر بطريقة جليّة عن إجلاله لقوى الطبيعة، فأغلب اللوحات الموسيقية التي تضمّنتها دراماته الموسيقية كانت تعبّر عن الظواهر الطبيعية كالربيع أو الخريف، والنهار أو الليل، والفجر أو الأصيل، والنسائم أو الزوابع. فما أكثر اللوحات الموسيقية التي عبّر فيها عن هذا الوله الفياض، ومن بينها أغنية زهرة الزنبق في أوبرا «أساطين الشعر

الغنائي بنورمبرج»، وأنشودة حوريات الراين الخالدة في أوبرا «ذهب الراين»، ولحن «همهمات الغابة» في أوبرا سيجفريد. كذلك مزج ڤاجنر الحركة والمناظر وأبطال أوبراته بالألوان في موسيقاه، فإذا هو يكتب قائلا إن «تريستان كان ذا لون بنفسجي. . . مثل زهرة الليلك الداكنة[1].

وهناك أيضا «جُستاف مالر» الذي اشتهر باسم «مُنشد الطبيعة». انطلق يستعير من الطبيعة ما يطلقه على الأجزاء الأولى من مؤلفاته الموسيقية من أسماء، فهو يدعوها تارة: «يقظة الإله پان» وتارة أخرى «الصيف يُقبل» أو «من شفاه الورد» و«حيوانات الغابة تحدّثني» إلى غير ذلك من أوصاف. وقيل إنه كان يخرّ راكعا عند مشاهدة الحقول اليانعة وتتدفّق الدموع من عينيه حينما يرى شجرة تفاح تزدهر أو وردة تتفتّح. . .

غير أن انتصار الطبيعة ما لبث أن تعرّض لبعض الهزّات على أيدي بعض الكتاب والفنانين، فإذا «ألفريد دڤيني» يندّد في القرن التاسع عشر بالطبيعة في قصيدته المشهورة «بيت الراعي» متهما إياها بالبرود والجمود. وتجاهل «بودلير» الطبيعة الحيّة ليشيّد من خياله طبيعته الخاصة فيما رواه من شعر، وحدّد حديقته بأنها «تلك التي نشيّدها من

---

(١) كذلك عبّر ڤاجنر عن مياه الراين المتدفّقة بلحن من مقام «مي بيمول الكبير». كما عبّر عن موسيقى النار المقدسة في أوبرا ڤالكيري بلهيبها الأحمر الصارخ بلحن من مقام مي الكبير.



نزواتنا وأحلامنا»[1]. وأعلن «لوكونت دوليل» زعيم المدرسة البرناسية[2] أن على الفن والعلم أن يتعاونا إلى أن يندمج كل منهما في الآخر. وكانت هذه الدعوة تنائيًا عن الطبيعة وميلا إلى موضوعية التفكير في الإنتاج الفني.

وجاء نوع من المذاهب الواقعية ليشكّك العقول في حق الطبيعة في أن تكون مصدر إلهام الأديب والفنان. فإذا «فلوبير» ينادي بأنه علينا إذا تعلّقنا بالطبيعة أن نتعمّق ما نراه منها، بحيث تكون الطبيعة مجرد إطار يقدّم الكاتب داخله إنتاجه الفكري. فقصة «مدام بوڤاري» دارت أحداثها في الريف وقصته «سالمبو» دارت وقائعها في حدائق هاملكار بقرطاج، ولكننا لا نحسّ فيما يصفه - رغم روعته - أي انفعال للكاتب بالطبيعة في القصتين. فقد وصفها الكاتب كما وجدها لا كما أحسّها، معتبرا أن إحساسه الشخصي أمر يتعلق به هو، وأن عليه أن يحترم إحساس قرائه بأن يرسم لهم الجمال في صدق ونزاهة وموضوعية دون تدخّل منه.

---

(١) على أن بودلير كان يستعير صور الطبيعة وظواهرها في تجسيم نزواته الذاتية وفي تصوير عواطفه الحسّية إزاء مفاتن المرأة.

(٢) البارناسوس جبل في اليونان كان مكرّساً لأپوللو وربّات الفن. وقد نشأت البرناسيّة الفرنسية سنة ١٨٣٠ على يد تيوفيل جوتييه كردّ فعل لرومانسية ڤكتور هيجو وده ڤيني ولامارتين. وقد كرّس البرناسيّون جهودهم للشعر الموضوعي الذي ينتزع منه الكاتب شخصيته، وللشعر الذي كان يتميّز بوضوح أبياته وقوة تركيبه [المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية].



وفي النصف الثاني من هذا القرن اشتعلت ثورة التصوير ضد المدرسة الرومانسية كما ثار عليها الأدب من قبل. ومع ذلك ذهب «مونيه» الذي يعدّ بحق زعيم مدرسة التصوير الانطباعية إلى أن اللون والضوء فقط هما العنصران الرئيسان في تكوين اللوحة الفنية وتنسيقها، فهجر الفنان الاستديو الرطب وآثر العمل في الفضاء الساطع على شواطئ نورماندي وعلى ضفتيْ نهر السين حتى يستطيع تسجيل الضوء المتألق على اللوحة. وبذلك عادت الطبيعة الموضوع المفضّل عند المصورين، وإذا رنوار، وبيسارو، وسيزليه، يحاولون التعبير عن اهتزازات الضوء التي تتتابع على لوحاتهم بسرعة تتابع الأمواج على ضفة الغدير.

وعرفت الموسيقى أيضا هذه الثورة، فظهرت الحركة التأثرية في الموسيقى خلال السنين الأخيرة من القرن التاسع عشر على يديْ «ديبوسي» الذي كان على رأس الرعيل الأول لهذه المدرسة. وبدلا من أن يصوّر المواقف العاطفية تصويرا مباشرا كما كان يفعل «ليست» ومَنْ نهج نهجه من المؤلفين الرومانسيين، نجده يحاول الإيحاء للمستمع بمشاعر معينة بدلا من التعبير عن هذه المشاعر مباشرة.

ولم تنحصر الحركة الانطباعية في فرنسا بل امتدت إلى ما وراء جبال البرانس وجبال الألب. فمثّلها «ديفايا» في إسپانيا «ورسْپيجي» في إيطاليا. فما أكثر المقطوعات الموسيقيةَ والأغاني التي ألفها «ديفايا» تحية للورد



والحدائق. ولعل الانفعالات الموسيقية التي خصّ بها ديفايا البيانو والأوركسترا في مقطوعته «ليالي في حدائق إسبانيا» أسطع دليل على هذا العشق الصادق، فهي تتصل اتصالا وثيقا بأمنية عزيزة على نفسه تبعث فيها ذكرى الحدائق الغنّاء التي تكسو سفوح التلال المطلّة على قصر الحمراء، أجمل بقعة في غرناطة، إن لم يكن في إسپانيا كلها.

أما رسپيجي الإيطالى فقد تغنى «بأشجار الصنوبر في روما» وأفرد لها قصيده السيمفوني الشهير بهذا الاسم، قائلا إن الطبيعة عنده «لا تعدو نقطة انطلاق يستعيد بها الذكريات والرؤى، أما أشجار الصنوبر العتيقة التي تميز الطبيعة الرومانية، فهي إطار تليد لكل ما يجري في روما».

بيد أنه في عصر التكنولوچيا ونظرية «المادية» لم تعد الحديقة حقيقة ملموسة بل غدت أملا في نفس الشاعر، وأمسى إنسان العصر الحديث متهيئًا لأن يتذوّق لذة الحياة حتى وهو في قطار سريع على نحو ماجاء في إحدى قصائد «ڤاليري لاربو» اومع ذلك فإن عشق الطبيعة لم يختف من الأدب ولم يندثر من القلوب، فكم ردّد «رومان رولان» في مستهل هذا القرن، كما ردّد «ليوناردو دافنشي» من قبل عبارته الخالدة: «اندمجوا في روح الطبيعة».



ومذهب الأدباء حين يتحدثون عن الحدائق في أدبهم يكاد ينقسم في رأينا قسمين: قسم منهم ديني النزعة وقسم آخر دنيوي النزعة. فمن هؤلاء الذين يتصفون بدينية النزعة وعرضوا للحدائق في أدبهم أديبنا العملاق أبو العلاء المعري. وفي الغرب من هؤلاء أيضًا دانتي، ولسنا هنا في مجال التعرض لاحتمال تأثر دانتي بأبي العلاء في حديقته أو أن التشابه بينهما كان من قبيل توارد الخواطر، فهذا بحث آخر ظفر بدراسات مستفيضة. أما عن أولئك الأدباء الذين تمثّلوا الحدائق عن نزعة دنيوية فمن أبرزهم أديبنا الشرقي المعروف الذي نعرض له الآن وهو جبران خليل جبران.

فلقد أراد بحديقته فيما تُملي بنصوصها كلها دنيا أرادها آمنة مطمئنة وادعة مستقرة، إلى غير هذا من تلك المعاني الجميلة التي يريدها الأدباء لحياة رغدة طيبة لا شقاق فيها ولا عداء. فما أراد جبران الجنّة كما شاءتها الأديان جزاء وثوابا بل أرادها بمعناها الدنيوي من خلال نظرة متصوفة، جمالا يزكي في النفس جمالا، وإبداعا يثير في النفس إبداعا، وصورة تطبع الناس على صورتها. تلك هي الحديقة الدنيوية التي أرادها جبران. وما أشبه حديقته بالمدينة «الفاضلة» التي تخيّلها الفارابي وبنى عليها كتابه. وليس بمستبعد أن يكون جبران الشرقي قد تأثر بالفارابي الشرقي وجعل حديقته في مبناها ومعناها من المدينة

الفاضلة للفارابي، مع الاختلاف الكبير في الخيال والفكر والرأي والفلسفة.

* * *

وبعد، فلعلها لم تكن رحلة شاقة ولا جافة تلك التي تتبّعنا فيها المراحل الفكرية التي مرّت بها ثقافة الإنسان، واتصل خلالها وجدانه وعقله ووسائل تعبيره بالطبيعة أو بالحديقة على وجه الخصوص. ولعلّه يبين لنا من هذه الإطلالة أن جبران لم يكن إلا أحد معالم هذه الإطلالة في الطريق الطويل الشاق الذي قطعته إلى غاياتها، وإحدى الثمرات الناضجة للصلة العريقة الأصيلة بين الطبيعة والإنسان. فلما أتيح لهذه الثمرة أن تنعكس على إنتاج جبران انسابت في حنان، جدولا يعبّر عمّا في الطبيعة من رحمة وتراحم.

ولقد حدّد هذا الانعكاس مكان جبران وموقفه من الحديقة العالمية، فكانت «حديقة النبي» التي أخرجها لنا أثرا فنيا رقراقا يرى تلك الجذور العميقة التي تربط الإنسان بالطبيعة. إن جبران صاحب الدم الشرقي والطبيعة الشرقية لم تكن به حاجة إلى أن يسعى إلى الشرق ليستعير منه الانفعال بالطبيعة، لأن الشرق بروحه الفياض وطبيعته الخلابة كان حيّا نابضا في قلبه. لهذا، نراه في «حديقة النبي» ينصرف إلى مجرد التعبير عن صلة الإنسان بالطبيعة، دون حاجة إلى أن تسبق هذه المرحلة مرحلة

انفعال بالطبيعة ، لأن هذه المرحلة كانت شيئا كامنا في تكوينه رابضا في وجدانه .

لقد كان جبران في هذا الكتاب ، كما كان في «النبي» معلّما ، يحاول أن ينشر بين الناس التعاليم التي استمدّها مما اكتسبه في تجربته . وهو يستمد الحكمة كلها من الطبيعة ، فالطبيعة عنده هي المعلّم، وهي الأساس الذي تقوم عليه كل حكْمة . وهو يعبّر عن شدّة ارتباط فلسفته بمظاهر الطبيَعة ، ملخّصا في الوقت نفسه هذه الفلسفة بقوله : «خلّوا بين مَنْ يبغي الحكمة يلتمسها في الشقائق ، أو في قبضة من صلصال أحمر» .

وجبران ، لا يكتفي من الطبيعة بأنها أساس كل حكمة ، وإنما يرى فيها كذلك أساس كل جمال . . .

وإنه ليستنكر أن يسري في بعض الأوهام أن فيها قبحا ، وإننا لنسمعه في الحديقة يتساءل :

«أوَليس هذا الذي لم تسع يوما إليه ، ولم ترغب يوما في تعمّق أسراره ، هو الذي تسمّيه بالقُبح ؟ فإذا كان القبح شيئا ، فليس هو في الحق إلا الغشاوة تغشّي عينيك ، والصِّملاخ يسدّ أذنيك . وحذار أن ترمي شيئا بالقُبح يا صاحبي ، فما القبح حقا إلا الخشية تعتري النفس حين تحضرها الذكريات» .

ترى ، هل كان جبران يردّ على « ألفريد دفيني» الذي ندّد بالطبيعة خلال القرن التاسع عشر ، قائلا في قصيدته المشهورة «بيت الراعي» :



«مكانك أيتها الطبيعة الجامدة

أوَ تتجدّدين تحت أقدامنا وفوق جباهنا

أتُراك آلهة أنت الأخرى . . .

. . . فتسخري من عابر متواضع، هو في الحقيقة سيّدك؟»

أم تراه كان يصحّح ما ردّده بودلير بعدذلك في قصيدته «مشهد» حين قال :

أرى الربيع، والصيف، والخريف. . .

وعندما يعود الشتاء، بثلوجه المُملّة،

سأغلق الأبواب والنوافذ،

لأبني قصور خيالي في لياليَّ،

لأحلم بالآفاق الزرقاء،

وبالحدائق،

وبالنافورات تدمع على رخام شفّاف،

وبالقُبل، وبالطيور تغرّد كل مساء وكل صباح،

وبكل ما في الحب، من براءة وبساطة. . .

أم كان يسخر من المدرسة «البرناسية» وزعيمها «الكونت دوليل»، والمدرسة الواقعية الشكلية وما كانت تنادي به من وجوب اتجاه الأدب إلى وصف الواقع كما هو؟ أم أنه أراد أن يقفنا على جحود هؤلاء وأولئك جميعا

حينما أخذوا يصوّرون لأنفسهم أنهم يستطيعون أن يستقلّوا عن الطبيعة، وبالتالي أن يترفّعوا عنها، بل ويتجرّأوا عليها، فينسبوا إليها الجمود، ويصفوها بالقبح، ويصموها بالقصور.

مهما تكن الإجابة على كل هذه الأسئلة، فمن الواضح لنا أن جبران يؤكد شرقيته الأصيلة في موقفه من الطبيعة، ومن علاقة الإنسان بالطبيعة وخالق هذه الطبيعة، في تفاؤل سمح طيب يعكس نفسا صافية رقيقة. هذا بينما نرى الآخرين يثورون على الطبيعة في جحود، ولعل أوضح مثال لهم «ألفريد دفيني» الذي عاش حياته على الادّعاء والاستعلاء ومرض التعاظم، ثم انتهت حياته في برج عاجي، فانعكس هذا كله على موقفه الغاشم من الطبيعة دون ذنب ولا جريرة.

وكما انبرى جبران يدفع عن الطبيعة أن فيها قبحا، كذلك نراه يمضي مؤكدا عدالتها، مدلّلا على أنها تسوّي بين أفرادها، فعندما يسأله مريدوه عن طفيليات الحديقة، يجيب المصطفي:

«كلنا طفيليون يا صاحبي، ولسنا، نحن الذين نجهد لنجعل العشب ينبض بالحياة، أرفع شأنا من أولئك الذين يغتذون من العشب بلا وسيط، وهم بالعشب جاهلون».

ويمضي جبران في دفاعه على لسان المصطفي، إلى أن يقول:

«إن كل ما هو كائن يعيش على كل ما هو موجود، وكل ما هو موجود يعيش ـ في إيمان بلا حدود ـ على فيض العليّ المتعال».

وكذلك يفعل جبران مع الجماد، فينبري مدافعا عنه في حماسة وقوة قائلا:

«أنت والحجر سواء، لا فرق بينكما إلا في نبضات القلب. ستقول إن قلبك ينبض أسرع قليلا من قلبه. أليس كذلك يا صاحبي؟ أجل، ولكن قلبك ليس في سكينة قلبه واطمئنانه».

وجبران في «الحديقة» ينظر إلى الحياة من حوله نظرة متصوّفة زاهدة، فيراها حديقة غير ذات أسوار. وكرمة لا حارس دونها، وكنزا مباحا ينال منه كل عابر، فيقول لمريديه:

«عيشوا نهبًا لسرق السارق، وغشّ الغاشّ، وخداع الخادع. أجل! كونوا صيدَ الخديعة وارتعوا في حبائلها ولو سخر منكم الناس، فليس هذا كله بضائركم... إنكم عندها سوف تُشرفون من عليائكم وتبتسمون... عالمين أن الربيع سيوافي حديقتكم من بعد ليرقص على أوراق الشجر، وأن الخريف سيُقبل لينضج أعنابكم، مدركين أن أيديكم لن تخلو من الرزق ما دامت نافذة واحدة من نوافذكم تطلّ على المشرق، موقنين أن جميع من يعدّهم الناس أشرارا ولصوصا وغشّاشين ومخادعين هم إخوانكم



في الحاجة. ولعلكم أنتم من زمرة هؤلاء جميعا في عين أهل النعيم الذين يسكنون تلك المدينة المكنونة التي تسمو فوق هذه المدينة».

على أن طبيعة جبران الشاعرة الحالمة الفنانة لا تفارقه لحظة واحدة. وتبدو هذه الطبيعة في دقّته عند اختيار تشبيهاته، ورقّته في استعمال ألفاظه، والجرس الجميل الذي يتردّد في عباراته. فهو في ختام كتابه ينتهي حزينا مؤثرا، إذ يصوّر فراق المصطفي لمكانه الحبيب، ثم وهو يناجي الغمامة أخت روحه الشاعري الجميل:

«إيه أيتها الغمامة . . . يا أخت روحي،
لشدّ ما أحببتُ الدنيا، وأحبّتني الدنيا،
فقد تمثّلت بسماتي كلُّها على شفتيها،
وانسابت دموعي جميعا من مآقيّ.
على أنه قد وقف بيني وبينها حاجز من السكون.
لم تشأ أن تقطعه،
ولم أستطع أنا عبوره».

هكذا يمضي جبران في التعبير، رقيقا كمياه الجداول، عميقا كظلال الشجر المسترخية في الوديان، متألقا كالزهور اليانعة، وإنه ليستلهم حديقته ويستند إليها في التدليل على علاقة الإنسان بالطبيعة. وتبدو هذه العلاقة ـ عند جبران ـ مستمدّة من فلسفته التي تبدو في كل تأملاته: الخلود، ووحدة الكون، والأصالة، والقِدَم، والبعث.



وإننا لنراه يربط بين الموت والحديقة كاشفًا عن نظرته الفلسفية إلى الحديقة بوصفها دورة الحياة المتصلة المتجدّدة، فهي حلقة الاتصال بين عالم الأرض وعالم السماء، وهي رمز الخلود والبعث، وإذا هو يجيب أحد حوارييه حين سأله عن كُنه الوجود قائلا:

«في هذه الحديقة يرقد أبي وترقد أمي وقد وسّدتهما الثَّرى أيدي الأحياء، وفي هذه الحديقة تغيب بذور السنة الماضية، حملتها إلى هنا أجنحة الريح. ولسوف يرقد في الثّرى ألف مرة جثمان أبي وجثمان أمي، و ألف مرة ستواري الريح البذور. ولسوف نُقبل معا بعد ألف عام أنا وأنتم وهذه الزهرات إلى هذه الحديقة كما هي الآن، فيتحقق وجودنا في حب الحياة، ويتحقق وجودنا في حلمنا بالفضاء، ويتحقق وجودنا في صعودنا إلى السماء».

وإنا لنرى جبران مؤمنا بأن دورة الإنسان في الحياة هي نفسها دورة عناصر الطبيعة الأخرى. . . ينبت النبت، وينمو، ويزدهر، وينضج، ويصبح بعد ذلك مصيره أن يجد من يقطف ثمراته، لتطيب بذلك نفسه. . . وفي حدود هذه الدورة يتطور الإنسان كما تتطور عناصر الطبيعة وينتقل من حال إلى حال، وهو مع ذلك خالد في طوايا الزمن، باق في ضمير الكون. . كل ما أصابه أنه تحوّل من صورة إلى أخرى.



على أن جبران لا ينسى وهو يتناول علاقة الإنسان بالطبيعة أن يعالج العديد من المظاهر الأخرى التي تكتنف حياة الناس، فيجرّد الناس من أرديتهم، ويردّهم إلى عناصرهم الأساسية الأولى، لينتهي إلى أن هذه العناصر الأولى أعمق وأقوى مما قد يكتنف وجودهم من مظاهر. فإذا ما تم له تجريدهم من هذه الأوهام، ربطهم بالطبيعة ربطًا قويًا محكمًا، ونظر من وراء الطبيعة إلى خالق هذه الطبيعة سبحانه وتعالى. ولجبران في هذا فلسفته الخاصة، فهو عن طريق هذه الرابطة يحمل الإنسان على حب الحياة والتمتع بمباهجها.

وقد آثرت إصدار هذه الطبعة الثامنة والأخيرة في ترجمة موازية تضمّ النصّين الإنجليزي والعربي متقابلَيْن شأنها شأن الطبعة الأولى. ولقد كانت «حديقة النبي» آخر محاولة كبيرة لإحياء الحديقة في الفن والفلسفة وفي تأملات الناس... ولعلي بنقلها إلى العربية أصل إلى بعثها في وسائل التعبير، رمزا خالدا لما بين الإنسان والطبيعة من أسباب.

المعادي في ١٨ فبراير ١٩٩٩ .

ثروت عكاشه

جبران خليل جبران

حديقة النبي

ترجمة موازية للنصين الإنجليزي والعربي

د. ثروت عكاشه



المصطفى المختار الحبيب . . . الذي كان أوجَ زمانه، ها هو ذا يؤوبُ إلى الجزيرة التي تلقّته وليدا خلال «تشرين» شهر الذكريات .

وفيما كانت سفينته تقتربُ من مُرساها استقام على مقدّمتها، وقد التفّ به ملاّحوه، وفي قلبه طربُ العائد إلى دياره .

وتحدّث، وصوتُ البحر ملءُ فيه، قائلا : «تطلّعوا! هذي هي الجزيرة التي فيها وُلدنا. بل هنا طرحتنا الأرضُ، فإذا نحن أنشودة، وإذا نحن أُحْجية، وإذا الأنشودة تعرجُ في السماء، وإذا الأحجية تستقرّ على وجه الأرض. وهل بين الأرض والسماء غير وجداننا يقوَى على أن يضطلعَ بهذه الأنشودة، ويبلغَ كُنه هذه الأحجية؟» .

ويُسْلمنا البحرُ ثانيةً إلى هذه الشطآن، فما نحن إلا موجة أخرى من موجاته نندفع قُدُما لنذيع حديثه . ولكن أنّى لنا أن نفعل هذا دون أن نحطّم اتّساق القلوب فوق الصخور والرمال؟

هذه هي شِرْعةُ الملاحين، وتلك هي شرعةُ البحر :



Almustafa the chosen and the beloved, who was a moon unto his own day, returned to the isle of his birth in the month of Tichreen, which is the month of remembrance.

And as his ship approached the harbour, he stood upon its prow, and his mariners were about him. And there was a home-coming in his heart.

And he spoke, and the sea was in his voice, and he said: "Behold, the isle of our birth. Even here the earth heaved us, a song and a riddle; a song unto the sky, a riddle unto the earth; and what is there between earth and sky that shall carry the song and solve the riddle save our own passion?

"The sea yields us once more to these shores. We are but another wave of her waves. She sends us forth to sound her speech, but how shall we do so unless we break the symmetry of our heart on rock and sand?

"For this is the law of mariners and the sea:



«إذا كنتم تنشدون الحرّيةَ فلا مفرّ من عَوْد إلى الضبّاب. فكلٌّ ما لا شكلَ له ينشدُ أبدا شكلا، وحتى هذه السُّدُم التي لا تُحصَى تودّ لو أصبحت شموسا وأقمارا. ونحن الذين طوّفنا ما طوّفنا، ونؤوب الآن إلى هذه الجزيرة في أشكالنا هذه الجامدة، حتمٌ علينا أن يشتملنا الضبّابُ مرة ثانية، وأن نعرف كيف كانت بدايتُنا. وهل هناك ما ستنتظمه الحياة ويتسامى إلى الذُّرى إلاّ وتحطّم على مهاد الهوى والحرّية؟».

«ولسوف نبقى أبدا جادّين في طلب الشطآن، علّنا نغنّي ويسمعُ الناس شَدْوَنا. ولكن ما بال تلك الموجة التي تتكسّر حيث لا أذن تسمع؟ ألا إن ما تهمس به جنباتنا هو الذي يغذّي ألمنا الدفين. وهو أيضا الذي ينحت لأرواحنا شكلا ويصرّف أقدارنا».

هنا تقدّم منه أحد ملاحيه وهو يقول: «أيّها المعلّم. لقد ألهبتنا شوقا إلى هذا المُرْسَى، وها نحن أولاء الآن قد بلغناه، بيد أنك لا تفتأ تتحدّث عن الحُزن والأسَى، وعن قلوب سوف تنفطر».

فأجابه المصطفى قائلا: «أوَ لم أتحدّث أيضا عن الحرّية، ثم عن الضباب، وهو حرّيتنا الكبرى؟ على أني والألم يُثقلني قد سعيت أحجّ إلى هذه الجزيرة التي

If you would freedom, you must needs turn to mist. The formless is for ever seeking form, even as the countless nebulae would become suns and moons; and we who have sought much and return now to this isle, rigid moulds, we must become mist once more and learn of the beginnig. And what is there that shall live and rise unto the heights except it be broken unto passion and freedom?

"For ever shall we be in quest of the shores, that we may sing and be heard. But what of the wave that breaks where no ear shall hear? It is the unheard in us that nurses our deeper sorrow. Yet it is also the unheard which carves our soul to form and fashions our destiny."

Then one of his mariners came forth and said: "Master, you have captained our longing for this harbour, and behold, we have come. Yet you speak of sorrow, and of hearts that shall be broken".

And he answered him and said: "Did I not speak of freedom, and of the mist which is our greater freedom? Yet it is in pain I make



استقبلتني وليدا، كطيف الذّبيح يسعَى إلى قاتليه ثم يجثو بين أيديهم».

وتكلّم ملاّح آخر فقال: «ألم تر إلى هذه الحشود التي تعلو سور البحر. لقد تنبّأت في هدأتها حتى بيوم مَقْدَمك وساعة مجيئك. ولقد خفّوا إليك زرافات، مدفوعين بحبّهم لك، تاركين حقولَهم وكرومَهم لينتظروك».

وتطلّع المصطفى إلى هذه الجموع، قريرَ البال بما أحسّ من شوقهم إليه، لكنه لم يَنْبس ببِنْت شَفَة.

وإذا للناس صيحةٌ تشقّ الفضاء إليه، وإذا هذه الصّيحة تفيضُ بالذّكريات وتجيشُ بالضّراعة.

والتفت المصطفى إلى ملاّحيه وهويقول لهم: «وأيَّ شيء جئتُهم به؟ لقد كنت صيّاداً في بلد بعيد، وسدَّدْتُ في عَزم سهامي الذّهبيّة التي أعطونّي إيّاها، ولكني عُدت ولم تعلق سهامي بصيْد. وما تبعتُ السّهام إلى حيث رميتُ بها. ومَن يدري؟ لعلّها الآن منتشرة بين شعاع الشمس إلى جوارأجنحة نسور جريحة لا تَهْوى إلى الأرض. أولعل تلك النّصال قد وقعت في أيدي مَن هُمْ في حاجة إليها... من أجل خبزهم ونبيذهم».

pilgrimage to the isle where I was born, even like unto a ghost of one slain come to kneel before those who have slain him".

And another mariner spoke and said: "Behold, the multitudes on the sea-wall. In their silence they have foretold even the day and the hour of your coming, and they have gathered from their fields and vineyards in their loving need, to await you".

And Almustafa looked afar upon the multitudes, and his heart was mindful of their yearning, and he was silent.

Then a cry came from the people, and it was a cry of remembrance and of entreaty.

And he looked upon his mariners and said: "And what have I brought them? A hunter was I, in a distant land. With aim and might I have spent the golden arrows they gave me, but I have brought down no game. I followed not the arrows. Mayhap they are spreading now in the sun with the pinions of wounded eagles that would not fall to earth. And mayhap the arrow-heads have fallen into the hands of those who had need of them for bread and wine.



لستُ أدري إلامَ انتهت في مسراها؟ أمّا الذي أدريه فهو أنها قد خطّت قوسَها في السماء.

ومع ذلك فلا يزال الحب يُظلُّني بجناحيْه، وأنتم أيها الملاحون، لا تنفكّوا تُقْلعون برؤاي. . . على أنه لن ينعقدَ لساني. بل سأظلُّ أُفْصحُ عنها حتى حين تمتدُّ يدُ الفصول إلى حلقي، ولسوف أظلّ أترنّمُ بكلماتي حتى و اللهيب يَحرقُ شفتيّ.

واضطربت قلوبهم لهذا الذي قال، وصاح به أحدُهم: «فلْتزوِّدنا أيّها المعلّم بكلِّ ما أوتيت من علْم، ولعلّ دمَك الذي يجري في عروقنا، وأنفاسَنا الّتي هي من عبيرك، تُسْعِفُنا على أن نفهمَ عنك».

فأجابهم وخَفْقُ الرّيح يَشيعُ في صوته: "وهل جئتم بي إلى هذه الجزيرة التي وُلدتُ فيها لتجعلوا منّي مُرشدا؟" لا. لم تقيّدني الحكمةُ بعدُ بأغلالها، وما زلتُ يانعا غضّ الإهاب، لم أبلغ بعد أن أتحدّث عن شيء ما غير النفس، والنفسُ دائما أغوارٌ تتّصل بأغوار.

"I know not where they have spent their flight, but this I know: they have made their curve in the sky.

"Even so, love's hand is still upon me, and you, my mariners, still sail my vision, and I shall not be dumb. I shall cry out when the hand of the seasons is upon my throat, and I shall sing my words when my lips are burned with flames."

And they were troubled in their hearts because he spoke these things. And one said: "Master, teach us all, and mayhap because your blood flows in our veins, and our breath is of your fragrance, we shall understand."

Then he answered them and the wind was in his voice, and he said: "Brought you me to the isle of my birth to be a teacher? Not yet have I been caged by wisdom. Too young am I and too verdant to speak of aught but self, which is for ever the deep calling upon the deep.



خلّوا بين مَن يبغي الحكمةَ يلتمسُها في الشقائق الصفراء، أو في قبضة من صلصال أحمر. أما أنا فسوف أظلّ الشّادي، أشدو للأرض، وأشدو بأحلامكم الخالية التي تُطوّفُ يومَها بين الغَفْوة والغفوة. على أنّي سوف لا أنفكُّ أتطلّعُ إلى البحر».



"Let him who would have wisdom seek it in the buttercup or in a pinch of red clay. I am still the singer. Still I shall sing the earth, and I shall sing your lost dreaming that walks the day between sleep and sleep. But I shall gaze upon the sea."



وعندئذ دخلت السفينةُ المرفأ ، وأدركت سورَ البحر . وهكذا آب المصطفى إلى الجزيرة التي أنسَتْ به وليداً ليقفَ من جديد بين أهله وعشيرته ، وانبعَثت من قلوب القوم صيحاتٌ مُدَوّية ، خفّفت عنه الشعور بالوحدة الملازم للعائد إلى دياره بعَد غيْبة .

وانحبست الأصوات ترقُّب صوته . لكنه لم يقل شيئا ، فقد غشيتْه الذكريات بأشجانها ، فإذا هو يناجي نفسه : «أوَقد قلتُ لهم إنني سأشْدُو؟ كلا ، فليس في وُسع شَفَتّي إلاّ أن تنفرجا لينطلق من بينهما صوتُ الحياة ذاهبًا مع الريح يلتمس الفرحة والعون؟» .

عند ذاك هتفتْ به «كريمة» التي شاركته صباه لعباً في حديقة أمه : «لقد حجبتَ عنّا وجهك اثنى عشر عاما ، ولقد خلّفتنا هذه السنون الاثنتا عشرة نُحسّ الجوعَ والظمأ إلى صوتك» .

ونظر إليها المصطفى في حنان بالغ ، فقد كانت هي التي أغمضت عينيّ أمّه حين طواها الموت بين أجنحته الشّهباء .

ثم أجابها قائلا : «اثنا عشر عاما . . . أوَ قد قُلت

And now the ship entered the harbour and reached the sea-wall, and he came thus to the isle of his bitrth and stood once more amongst his own people. And a great cry arose from their hearts so that the loneliness of his home-coming was shaken within him.

And they were silent awaiting his word, but he answered them not, for the sadness of memory was upon him, and he said in his heart: "Have I said that I shall sing? Nay, I can but open my lips that the voice of life may come forth and go out to the wind for joy and support."

Then Karima, she who had played with him, a child, in the Garden of his mother, spoke and said: "Twelve years have you hidden your face from us, and for twelve years have we hungered and thirsted for your voice."

And he looked upon her with exceeding tenderness, for it was she who had closed the eyes of his mother when the white wings of death had gathered her.

And he answered and said: "Twelve years?



اثنى عشر عاما يا كريمة؟ إنني لا أقيسُ شوقي بدورة النجوم في أفلاكها، ولا هكذا أسبرُ غَوْره، فإن الحبَّ إذا ما كان حنينا إلى الوطن لن يحيط به الزمن، ولن تبلُغ غَوْره الأيام.

كم من لحظات تحملُ في طيّاتها دهوراً من الفراق متباعدة.

على أن الفراق شيء لا وجود له، وما هو إلاّ عارض من عوارض الذّهن المكدود... وما يدرينا.. لعلّنا لم نفترق».

ونظر المصطفى إلى القوم جميعا: شبّانهم وشيبهم، أقويائهم وضعفائهم، وإلى هؤلاء الذين احمرّت وجناتهم من لفح الشمس ومسّ الريح، وإلى أولئك الذين علا مُحيّاهم شحوب واصفرار. وقد أشرقت وجوه هؤلاء وأولئك بوَهَجِ الشّوق وشُعاع التساؤل.

وإذا أحدهم يقول: «أيها المعلّم، لقد عصفتْ الحياة عصفاً بآمالنا ورغباتنا، فتبلبلَ الخاطرُ، وما نعرفُ لذلك سببا. وإني لأضرع إليك أن تُخفّف عنّا، فتكشفَ لنا عن سرّ أحزاننا».

وخَنَقَ قلبُه رحمة بهم، وقال لهم: «إن الحياة أسبقُ

Said you twelve years, Karima? I measured not my longing with the starry rod, nor did I sound the depth thereof. For love when love is homesick exhausts time's measurements and time's soundings.

"There are moments that hold aeons of separation. Yet parting is naught but an exhaustion of the mind. Perhaps we have not parted."

And Almustafa looked upon the people, and he saw them all, the youth and the aged, the stalwart and the puny, those who were ruddy with the touch of wind and sun, and those also who were of pallid countencance; and upon their face a light of longing and of questioning.

And one spoke and said: "Master, life has dealt bitterly with our hopes and our desires. Our hearts are troubled, and we do not understand. I pray you, comfort us, and open to us the meanings of our sorrows."

And his heart was moved with compassion,



في الوجود من كل شيء حيّ، مَثَلُها مثلُ الجمال الذي كان يحلّق في سماء الوجود قبل أن يكون جميلٌ على وجه الأرض، ومثلُ الحق، كان حقًا قبل أن يجري على لسان.

نسكنُ وغناء الحياة لا ينقطع، ونَغْفو وأحلامها لاتزال موصولة. وحتى حين نُمْسي مقهورين مُتَطامنين تظلُّ الحياةُ متربّعة على عرشها عزيزة. وحين نبكي تظلُّ الحياة باسمة غير عابسة، وحين نرسُف في الأغلال تظلُّ الحياة حرّة طليقة.

وما أكثر ما ننعَى على الحياة وندعوها بلاذع الأسماء ولكننا لا نفعل إلا حين نُحسّ في نفوسنا لذعًا وإظلامًا. ونحن نرمي الحياة بأنها خاوية لا غناء فيها، لكننا لا نفعل إلا حين تهيم النفس في آفاق موحشة، ويترنّح القلبُ مثقلا بشواغل النفس.

والحياةُ بعيدٌ غورها، شاهقٌ سموُّها، ممتدّة آفاقُها، وهي منك قريب، وإن كان خيالك مهما امتد لا يرقَى إلا إلى قدميْها، وأنفاسُ أنفاسك لا تبلغُ إلا قلبها، وطيفُ طيْفك لا يجاوز إلا وجهها، وفي صدرها يستحيل صدى أخفت صيحاتك ربيعا وخريفا.

and he said: "Life is older than all things living; even as beauty was winged ere the beautiful was born on earth, and even as truth was truth ere it was uttered.

"Life sings in our silences, and dreams in our slumber. Even when we are beaten and low, Life is enthroned and high. And when we weep, Life smiles upon the day, and is free even when we drag our chains.

"Oftentimes we call Life bitter names, but only when we ourselves are bitter and dark. And we deem her empty and unprofitable, but only when the soul goes wandering in desolate places, and the heart is drunken with overmindfulness of self.

"Life is deep and high and distant; and though only your vast vision can reach even her feet, yet she is near; and though only the breath reaches her heart, the shadow of your shadow crosses her face, and the echo of your faintest cry becomes a spring and an autumn in her breast.



والحياة محجّبةٌ مصونة، كما أن ذاتَك الكبرى محجّبة مصونة، ولكن حين تنطق الحياة تردّد الرّياح جميعا كلماتها، وإذا عادت إلى الحديث استحالت البَسَمات على الشفاه والدموع في العيون هي الأخرى إلى كلمات. وحين تغنّي الحياة يسمعها الأصم ويؤخذ بسحر غنائها. وحين تُقْبلُ مختالةً يراها الضّرير فيُفْتن بها ويخطو في إثرها أسيرَ العَجب والدَّهشة».

ثم أمسك المصطفى عن الكلام، وعمّ القومَ سكونٌ شامل، وسَرَت في هذا السكون أغنيةٌ لم تتلقّفْها الآذان، طابت بها نفوسُهم بعد وحشة، وصحّت بعد توجّع.

"And Life is veiled and hidden, even as your greater self is hidden and veiled. Yet when Life speaks, all the winds become words; and when she speaks again, the smiles upon your lips and the tears in your eyes turn also into words. When she sings, the deaf hear and are held; and when she comes walking, the sightless behold her and are amazed and follow her in wonder and astonishment."

And he ceased from speaking, and a vast silence enfolded the people, and in the silence there was an unheard song, and they were comforted of their loneliness and their aching.



وتركهم المصطفى وخلّفهم لا يُلوي على شيء، وسلك سبيلَه إلى حديقته، حديقة أمه وأبيه، حيث يرقدان ثاويينْ إلى جوار أسلافهما.

وكان بين الناس مَن رغب في اللحاق به، وقد رأوْه يحمل مُنْية العائد إلى دياره، ورأوْه وحيداً، إذ لم يكن قد بقيَ له من أهله وأقاربه مَن يُؤهِّل به ويرحِّب، على نحو ما كان أفراد عشيرته يفعلون.

غير أن ربّان السفينة أشار إليهم وهو يقول: «السوف تَشُقُّون عليه إن لم تُخْلوا سبيله، فإن الوُحدة زادُه، وفي كأسه يرقد نبيذ الذّكريات، وهو يُحبّ أن يكون له خالصاً من دون الناس».

وهنا توقّف الملاحون لا يَخْطون، فلقد أدركوا أن القول ما قال ربّان السفينة.

وتلبّث هؤلاء الذين عَلَوْا أسوار البحر لا يَمْضون، يكبحون في أنفسهم رغبةً جامحة في اللّحاق به.

And he left them straightway and followed the path which led to his Garden, which was the Garden of his mother and his father, wherein they lay asleep, they and their forefathers.

And there were those who would have followed after him, seeing that it was a home-coming, and he was alone, for there was not one left of all his kin to spread the feast of welcome, after the manner of his people.

But the captain of his ship counselled them saying; "Suffer him to go upon his way. For his bread is the bread of aloneness, and in his cup is the wine of remembrance, which he would drink alone."

And his mariners held their steps, for they knew it was even as the captain of the ship had told them.

And all those who gathered upon the sea-wall restrained the feet of their desire.



Only Karima went after him, a little way, yearning over his aloneness and his memories. And she spoke not, but turned and went unto her own house, and in the garden under the almond-tree she wept, yet knew not wherefore.

«كريمة» وحدَها هي التي مضت في إثره، تتبعه عن كَثَب، تَصْبو إلى وحدته، وتَتوق إلى ذكرياته. لكنها لم تتكلم. ثم ما لبثت أن عادت أدراجها تقصدُ بيتَها. وفي الحديقة، وفي ظلّ شجرة اللّوز، أخذت تبكي، دون أن تدري لبكائها سبَبا.

صفحة فارغة

وجاء المصطفى إلى حديقة أمه وأبيه فدخلها، وأغلق بابها من دون الناس، حتى لا يدخلها عليه أحد.

في هذا البيت، وفي تلك الحديقة، مكث المصطفى وحدَه أربعين يوما وأربعين ليلة، لم يَسْع إليه إنسان، أو يُلمّ بباب الحديقة أحد، لأنه كان مغلقاً، وكان القوم جميعا يعلمون أنه يُحبّ أن يخلو إلى نفسه.

وما إن انقضت الأيامُ الأربعون ومعها لياليها حتى فتح المصطفى باب الحديقة كي يتوافد الناس إليه.

وهناك سعى إليه رجال تسعة، ليكونوا إلى جواره في الحديقة: ثلاثة من ملاّحي سفينته، وثلاثة من سَدَنة الهيكل، وثلاثة ممّن شاركوه لَهْوه أيام صِباه. وكان هؤلاء جميعا هم مُريدوه.

وذات صباح جلس مُريدوه من حوله، وإن عينيه لترتسم فيهما الآماد وتشعّان بالذكريات.

And Almustafa came and found the Garden of his mother and his father, and he entered in, and closed the gate that no man might come after him.

And for forty days and forty nights he dwelt alone in that house and that Garden, and none came, not even unto the gate, for it was closed, and all the people knew that he would be alone.

And when the forty days and nights were ended, Almustafa opend the gate that they might come in.

And there came nine men to be with him in the Garden; three mariners from his own ship; three who had served in the Temple; and three who had been his comrades in play when they were but children together. And these were his disciples.

And on a morning his disciples sat around him, and there were distances and remembrances in his eyes.



والتفت إليه مُريد من مريديه ـ اسمه «حافظ» ـ يقول له «هل لك في أن تحـدّثنا أيهـا المعلّم عن مـدينة «أورفاليس»، ثم عن تلك الأرض التي تخلّفْتَ فيها اثنى عشر عاما؟».

وظل المصطفى صامتًا يرمي ببصره إلى الرُّبى والتلال وإلى الفضاء الرّحيب، وقد انطوى في صمته على صراع عنيف.

ثم التفت إليهم يقول: «يا صحابي، ويا رفاق الطريق. ما أوْلاكم أن تَرْثوا لأمّة زاخرة النفوس بالمعتقدات خاويتها من الإيمان.

وما أوْلاكم أن تَرْثوا لأمّة تلبسُ أرديةً لا تَنْسجُها، وتأكل خبزًا لا تحصدُه، وتشرب نبيذًا لا يسَيل من معاصرها.

وما أوْلاكم أن تَرْثوا لأُمّة تهتفُ للباغي هُتافَها للبطل، ويُبْهرها الغازي فتعدُّه الوهّاب الجواد.

وما أوْلاكم أن ترثوا لأمة تستنكف اصطخاب العاطفة في أحلامها، وتستسلم لها في يقظتها.

وما أوْلاكم أن ترثوا لأمة لا ترفع صوتَها إلاّ حين تشيّع ميّتا، ولا تتفاخرُ إلا بأطلالها ولا تثورُ إلا عندما ترى رقابَها بين السّيف والنِّطع.

And that disciple who was called Hafiz said unto him: "Master, tell us of the city of Orphalese, and of that land wherein you tarried those twelve years."

And Almustafa was silent, and he looked away toward the hills and toward the vast ether, and there was a battle in his silenc.

Then he said: "My friends and my road-fellows, pity the nation that is full of beliefs and empty of religion.

"Pity the nation that wears a cloth it does not weave, eats a bread it does not harvest, and drinks a wine that flows not from its own winepress.

"Pity the nation that acclaims the bully as hero, and that deems the glittering conqueror bountiful.

"Pity the nation that despises a passion in its dream, yet submits in its awakening.

"Pity the nation that raises not its voice save when it walks in a funeral, boasts not except among its ruins, and will rebel not save when its neck is laid between the sword and the block.



وما أولاكم أن ترثوا لأمة وليها ثعلب ماكر، وحكيمها مشعوذ، وفنها فن بني على الترقيع والمحاكاة.

وما أولاكم أن تَرْثوا لأمة تستقبلُ حاكمها الجديد بالطّبل والزّمْر، وتُشيِّعه بالنّكير والصّفير، لتعودَ فتستقبلُ الخَلَفَ بما استقبلت به السَّلف.

وما أولاكم أن تَرْثوا لأمة قد عقدت السّنون ألسنةَ حكمائها، وخلّفت ذوي البأس من رجالها في مهادهم.

ثم ما أولاكم أن تَرْثوا لأمة تفرّقت أحزابًا، وظنّ كلُّ حزب أنه أمة وحده.

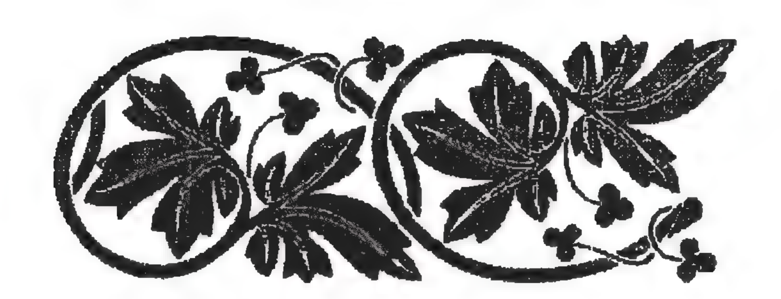


"Pity the nation whose statesman is a fox, whose philosopher is a juggler, and whose art is the art of patching and mimicking.

"Pity the nation that welcomes its new ruler with trumpetings, and farewells him with hootings, only to welcome another with trumpetings again.

"Pity the nation whose sages are dumb with years and whose strong men are yet in the cradle.

"Pity the nation divided into fragments, each fragment deeming itself a nation."



وقـال واحد منهم: «لقد آن أن تحدّثنا عمّا يجيشُ في صدرك ولا ينطلقُ به لسانك».

ونظر المصطفى إلى مُـحـدّثه هذا، تخـالط صـوته شَقْشقةُ نجم صادح، وقال: «في أحلام يقظتك، حين تَجنحُ إلى السّكون، وتصيخُ إلى ما ينبعث من أعـماق نفسك، تسّاقطُ عليك أفكارُك خفّاقةً، كـما تسّاقطُ نُدف الثلج من السـمـاء، تُضـفي على كل خَلجـة من خلجات نفسك ثوباً من السكينة ناصعَ البياض.

وهل أحلام اليـقظة إلاّ كنُدَف الغـمام، تُونع وتُزهر فوق تلك الشجرة الباسقة، التي أصلُها في قلوبكم؟ وهل أفكاركم إلا أوراقُ الزّهر تنشـرها رياحُ قلـوبكـم فوق التلال ووهادها؟».

وإن مَـثَلكم وأنتم تتطلّعـون إلى الأمن والسكينة، حتى يستـقرّ مـالا صـورةَ له فـيكم على صـورة، مَـثَلُ الغـمامة تتجمّـعُ وتنساقُ إلى أن تُحيلَ يـدُ الله المبـاركة أمـانيـهـا الكابيـة بلّلورات شـمـوس صـغـيـرة وأقـمـار ونجوم.

وهنالك انبرى «سركيس» - وكـان الشك يُخـالط قلبـه - فقـال له: "لكن الربيع سـوف يُقبل، ولـسـوف تذوبُ ثلوجُ أحـلامنا وأفكارنـا جـمـيعـا ولا يبـقى منهـا شيء؟».

And one said: Speak to us of that which is moving in your own heart even now."

And he looked upon that one, and there was in his voice a sound like a star singing, and he said: "In your walking dream, when you are hushed and listening to your deeper self, your thoughts, like snow-flakes, fall and flutter and garment all the sounds of your spaces with white silence.

"And what are waking dreams but clouds that bud and blossom on the sky-tree of your heart? And what are your thoughts but the petals which the winds of your heart scatter upon the hills and its fields?

"And even as you wait for peace until the formless within you takes form, so shall the cloud gather and drift until the Blessed Fingers shape its grey desire to little crystal suns and moons and stars.

Then Sarkis, he who was the half-doubter, spoke and said: "But spring shall come, and all the snows of our dreams and our thoughts shall melt and be no more."



وأجاب المصطفى قائلاً «لتذوبنّ الثلوج حين يُقبلُ الربيعُ ينشدُ محبوبَه بين الحَرَجات الهاجعة والكروم الغافية. ولتجرين تلك الثلوج جداولَ تسعَى إلى النهر في الوادي، كي تكون الساقي يحملُ الكأسَ إلى أشجار الآس والغار.

ولتذوبنّ ثلوجُ قلوبكم حين يُقبل الربيع، ولتنسابن أسراركم جداول تطّلب نهر الحياة في الوادي، وليَطْوينّ النهر أسراركم، وليَحْملنّها إلى البحر الأعظم.

ولسوف يذوبُ كل شيء حين يُقبل الربيع ويغدو نشيدا وترتيلا. كذلك النجوم ونُدف الثلج الغفيرة التي تتساقط على الحقول الفسيحة في هَوادة وأناة، سوف تذوبُ هي الأخرى وتنساب جداولَ مصفّقة هازجة. وحين يتجلّى المتعال بوجهه من الأُفق الرّحيب، فهل من جَمَد تناسقت أجزاؤه وتضامّت وُحداته لا يذوب صادحاً باللحن النّديّ؟ ومَن منكم لا يوّد أن يكون الساقي، يحملُ الكأس إلى أشجار الآس والغار؟

بالأمس القريب كنتم تضطربون فوق البحر المائج، لا شاطئ تركنون إليه، ولا نفْسَ تسكنون إليها. وإذا

And he answered saying: "When Spring comes to seek His beloved among the slumbering groves and vineyards, the snows shall indeed melt and shall run in streams to seek the river in the valley, to be the cupbearer to the myrtle-trees and laurel.

"So shall the snow of your heart melt when your Spring is come, and thus shall your secret run in streams to seek the river of life in the valley. And the river shall enfold your secret and carry it to the great sea.

"All things shall melt and turn into songs when Spring comes. Even the stars, the vast snow-flakes that fall slowly upon the larger fields, shall melt into singing streams. When the sun of His face shall arise above the wider horizon, then what frozen symmetry would not turn into liquid melody? And who among you would not be the cupbearer to the myrtle and the laurel?

"It was but yesterday that you were moving with the moving sea, and you were



الرياح - أنفاس الحياة - قد اتخذت منكم حجابا من نور أضفته على وجهها، ثم مدَّت يدها فجمعت شملكم وسوّت صورتكم، ومضيتم برؤوس شامخة تلتمسون الذّرى والقمم العوالي. لكن البحر كان في إثركم لا يفتأ يُلاحقكم، وأنشودته لا تنفكّ تلازمكم. وإن كنتم قد نسيتم بنوّتكم له، فسوف يظل إلى الأبد يؤكد أبوّته لكم، وسوف يظل يدعوكم له أبدا، لا يكفّ ولا يَريم . . .

وستذكرون دائما - في جوْلاتكم بين شعاب الجبال وفي مسيركم فوق رمال الصحراء - جوفه العميق الرَّطيب. وإذا كان يعزّ عليكم أحيانا أن تعرفوا إلامَ تهفو قلوبُكم، فهي حقًّا تهفو إلى سكينته الشاملة، تهمس بالإيقاع الجميل.

وهل غير ُهذا يكون؟ ففي الحرَجَة، وفي الخميلة، حين ترقُصُ حبّات المطر على صفحات أوراق الأشجار فوق الرُّبى، وحين يسّاقط الثلجُ رحمةً ووفاء، وحين تَرْعون قُطعانكم في الوادي تسوقُونها إلى النهر، وحين تجتمع الجداولُ في حقولكم وكأن ماءها اللُّجَيْن قد

shoreless and without a self. Then the wind, the breath of Life, wove you, a veil of light on her face; then her hand gathered you and gave you form; and with a head held high you sought the heights. But the sea followed after you, and her song is still with you. And though you have forgotten your parentage, she will for ever assert her motherhood, and for ever will she call you unto her.

"In your wanderings among the mountains and the desert you will always remember the depth of her cool heart. And though oftentimes you will not know for what you long, it is indeed for her vast and rhythmic peace.

"And how else can it be? In grove and in bower when the rain dances in leaves upon the hill, when snow falls, a blessing and a convenant; in the valley when you lead your flocks to the river; in your fields where brooks, like silver streams, join together the



green garment; in your gardens when the early dews mirror the heavens; in your meadows when the mist of evening half veils your way; in all these the sea is with you, a witness to your heritage, and a claim upon your love.

"It is the snow-flake in you running down to the sea."

تسربل بثياب سندسية، وقطرات الطَّلِّ الباكر على الرّياض تَعْكسُ صَفْحة السماء، وحين يغشَى ضباب المساء سُبُلكم فيحجبُها أو يكاد، يتمثّل لكم البحرُ في هذا كله شاهداً على أبوّته لكم، طامعاً في حبّكم له.

إنه نُدَفُ الثلج تجري منكم منحدرةً إلى البحر.

صفحة فارغة

وفيما هم يسيرون في الحديقة ذات صباح، بدت لهم دون الباب امرأة لم تكن غير «كريمة» التي أحبّها المصطفى في صباه حبَّ الأخ لأخْته. وقد ظلّت واقفةً بالباب لا تطلبُ شيئا، ولا تَقْرعه بيدها، بَيْدَ أنها ما برحت تتطلّع إلى الحديقة في حنين وأسى.

ولَمح المصطفى لَهفتها في خلجات جُفونها، فخفَّ نحو السُّور في خطوات سريعة وفتح الباب، فدخلت يُرحّبُ الكلُّ بها.

وتكلّمت فقالت: «لماذا نأيتَ عنّا جميعًا حتى حَرَمتنا العيشَ في نور محيّاك؟. انظر فهذه سنينُ طوال قضيناها تجيشُ قلوبنا بحبِّك، وتهفو نفوسُنا انتظاراً لأوْبتك سالماً. والآن يهتفُ القومُ باسمك، ويودّون السَّماع إليك، وأنا رسولُهم جئتُ أضرعُ إليك أن تَطْلُعَ عليهم، وتُلقي إليهم من حكمتك، وتَجْبُرَ قلوبَنا الكسيرة، وتنقذنا من حماقاتنا».

And on a morning as they walked in the Garden, there appeared before the gate a woman, and it was Karima, she whom Almustafa had loved even as a sister in his boyhood. And she stood without, asking, nothing, nor knocking with her hand upon the gate, but only gazing with longing and sadness into the Garden.

And Almustafa saw the desire upon her eyelids, and with swift steps he came to the wall and the gate and opened unto her, and she came in and was made welcome.

And she spoke and said: "Wherefore have you withdrawn yourself from us altogether, that we may not live in the light of your countenance? For behold, these many years have we loved you and waited with longing for your safe return. And now the people cry for you and would have speech with you; and I am their messenger come to beseech you that you will show yourself to the people, and speak to them out of your wisdom, and comfort the broken of heart and instruct our foolishness."



And looking upon her, he said: “Call me not wise unless you call all men wise. A young fruit am I, still clinging to the branch, and it was only yesterday that I was but a blossom.

فنظر إليها المصطفى وقال: «إذا دعوتني حكيماً فادْعي معي كل الناس حكماء. ما أنا إلا ثمرةٌ غضّة، لا تزال بالغُصن عالقة، ولم أك بالأمس إلا زهرةً نوّارة.

“And call none among you foolish, for in truth we are neither wise nor foolish. We are green leaves upon the tree of life, and life itself is beyond wisdom, and surely beyond foolishness.

وحَذار أن تَصفي أحداً بالحُمق، ففي الحق لسنا بالحمقَى ولا بالحكماء. وإنما نحن أوراقٌ يانعة على شجرة الحياة. والحياة ذاتها تسمو الحكمةَ، وهي لا شك تسمو الحماقة».

“And have I indeed withdrawn myself from you? Know you not that

«أتَريْنني قد نأيتُ بنفسي عنكم حقّا؟ ألا تعلمين أنه ما من بُعد يكون إلاّ إذا عجزتَ

صفحة فارغة

النفسُ عن أن تصل في الخيال بين طرفيْه، فإذا اتّصلا اغتدى في النفس لحنا موَقَّعا ؟

إن البُعد بينك وبين جار قريب لا يجمعك وإياه الودّ، لأعظم حقا من البُعد بيّنك وبين حبيب تفصلك عنه سبعةُ عوالم وسبعةُ بحار.

ففي الذّكرى تختفي الآماد والأبعاد، وفي ظلّ النسيان تكون الهُوّة التي لا يطويها صوتٌ ولا يبلغها بصر.

«وبين سواحل المحيطات وذُرى الجبال السامقة يستوي طريقٌ خفيّ، حَتْمٌ عليك أن تقطعيه قبل أن تُصبحي من أبناء الأرض».

وبين معرفتك وإدراكك يستوي ممرٌّ خفيّ، حَتْمٌ عليك أن تكشفيه قبل أن تتّحدي بالبشريّة فتسكني إلى نفسك.

«وبين يُمناك التي تُعطي، ويُسراك التي تأخذ، بَوْنٌ شاسع لا يمحوه إلا إيمانُك بأن يديْك كلْتيْهما للأخذ والعطاء معًا. وهيهات أن ينمحي هذا البون

there is no distance save that which the soul does not span in fancy? And when the soul shall span that distance, it becomes a rhythm in the soul.

"The space that lies between you and your near neighbour unbefriended is indeed greater than that which lies between you and your beloved who dwells beyond seven lands and seven seas.

"For in remembrance there are no distances; and only in oblivion is there a gulf that neither your voice nor your eye can abridge.

"Between the shores of the oceans and the the summit of the highest mountain there is a secret road which you must needs travel ere you become one with the sons of earth.

"And between your knowledge and your understanding there is a secret path which you must needs discover ere you become one with man, and therefore one with your-self.

"Between your right hand that gives and your left hand that receives there is a great space. Only by deeming them both giving and



إلا إذا أيقنت أنـه ليـس بوسعك أن تُعطي، ولا بوسـعك أن تأخذي».

«وفي الحق إن أبعدَ البُعد، هو الذي يفصل بين رؤَى منامك ووَعْي يقظتك، وبين ذلك الذي هو فـــعلٌ فحسب، وذلك الذي هو رغبة فحسب».

«ولا يزال هناك طريق آخر، حَتْمٌ عليك أن تسلكيه قبل أن تتّحدي بالحياة. ولستُ بمحدّثك الآن عن هذا الطريق، فإني أرى الإعياء باديا عليك بما عانيتِ حتى الآن من وَعْثاء السَّفر».

receiving can you bring them into spacelessness, for it is only in knowing that you have naught to give and naught to receive that you can overcome space.

"Verily the vastest distance is that which lies between your sleep-vision and your wakefulness; and between that which is but a deed and that which is a desire.

"And there is still another road which you must needs travel ere you become one with Life. But of that road I shall not speak now, seeing that you are weary already of travelling."



وعندئذ مضى تصحبه
مرأة والتسعة الآخرون
حتى بلغ ساحة
لسوق. ثم خاطب
لقوم، صحابه وجيرانه،
فعمرت الفرحة قلوبهم،
وملأ البشرُ جفونهم.

ثم قال: «إنكم
تترعرعون في نومكم،
وتحيون ماء حياتكم في
حلامكم. ذلك أنكم
تقضون سواد نهاركم
شاكرين ما أعطيتم في
سكون الليل السَّاجي».

«وكثيرا ما تحدسون
وتقولون: إن الليل أوانُ
الراحة، بينما هو في الحق
وقت السّعي والكشاف
خذ نو»

Then he went forth with the woman, he and the nine, even unto the market-place, and he spoke to the people, his friends and his neighbours, and there was joy in their hearts and upon their eyelids.

And he said: "You grow in sleep, and live your fuller life in your dreaming. For all your days spent in thanksgiving for that which you have received in the stillness of the night.

"Oftentimes you think and speak of night as the season of rest, yet in truth night is the season of seeking and finding.



«ولئن كان النهار يمنحكم القدرة على أن تَنهلوا من المعرفة، ويدرّب أصابعكم على أن تحذق فن الأخذ، فإن الليل هو الذي يُرْشِدُكم إلى كنوز **الحياة**».

«ولئن كانت الشمسُ تُعلِّمُ كلَّ ما ينمو الشَّوْق إلى الضياء، فإن الليلَ هو الذي يسمو به إلى مقام النجوم».

«وإنما سكونُ الليل السَّاجي، هو الذي ينسجُ نقابَ العُرس ويُضفيه على الأشجار في الغابة والأزهار في البستان، ثم يمُدّ سماطَ المأدبة في كرم وسخاء، ويعدُّ مخدع العُرس. وفي هذا السكون المقدّس، يستوي الغدُ جنيناً في رحم **الزمن**.

وهكذا شأنُ الليل معكم، فإنكم إذ تسعون تجدون الرزقَ وتحقيقَ الأمل. وإذا كانت يقظتكم في الفجر تمحو ما وعتْه ذاكرتكم، فإن مائدةَ أحلامكم تظلّ دائما مبسوطة، كما يظلّ مخدعُ العُرس قائمًا يَنتظر. »

"The day gives unto you the power of knowledge and teaches your fingers to become versed in the art of receiving; but it is night that leads you to the treasure-house of Life.

"The sun teaches to all things that grow their longing for the light. But it is night that raises them to the stars.

"It is indeed the stillness of the night that weaves a wedding-veil over the trees in the forest, and the flowers in the garden, and then spreads the lavish feast and makes ready the nuptial chamber; and in that holy silence to-morrow is conceived in the womb of Time.

"Thus it is with you, and thus, in seeking, you find meat and fulfilment. And though at dawn your awakening erases the memory, the board of dreams is for ever spread, and the nupital chamber waiting."



وسكت المصطفى برهة. وكذلك فعل قومه انتظاراً لما يقول. ثم تكلم مرة أخرى قائلا: "لئن كنتم تبدون في أجساد، فأنتم مع ذلك أرواح. وكما أن الزّيتَ يتّقدُ في الظلام، كذلك أنتم كالمصباح ولو ضمّته زجاجة.

«فإذا كنتم أجسادا فحسب، فإن وقوفي أمامكم وحديثي إليكم ليس إلاّ هباء كما يهتفُ مَيْتٌ بميْت. ولكن الأمرَ على خلاف ذلك، فكلٌّ ما لا يجوزُ عليه الموت فيكم حرٌّ طليق آناء الليل وأطراف النهار، لايحدُّه مكان ولا يغلُّه قيْد، وتلك مشيئةُ **العليّ القدير**. ولأنتم **أنفاسُه** تنطلق كالرياح لا يمكن اللّحاق بها ولا أسْرِها. وأنا أيضًا نَفَسٌ من **أنفاسه**».

ثم ترك جمعهم وأسرع يرجع إلى الحديقة.

وتكلم «سركيس»، ذلك الذي كان يطوف به طائفٌ من الشك فقال: «وما قولُك في القُبح أيها المعلّم، فإنك لم تعرضْ له قط في حديثك؟ . . .»

فأجابه المصطفى، وفي كلماته لذعُ السّياط: «مَن ذا

And he was silent for a space, and they also, awaiting his word. Then he spoke again, saying: "You are spirits though you move in bodies; and, like oil that burns in the dark, you are flames though held in lamps.

"If you were naught save bodies, then my standing before you and speaking unto you would be but emptiness, even as the dead calling unto the dead. But this is not so. All that is deathless in you is free unto the day and the night and cannot be housed nor fettered, for this is the will of the most High. You are His breath even as the wind that shall be neither caught nor caged. And I also am the breath of His breath."

And he went from their midst walking swiftly and entered again into the Garden.

And Sarkis, he who was the half-doubter, spoke and said: "And what of ugliness, Master? You speak never of ugliness."

And Almustafa answered him, and there



الذي يستطيع أن يَصمَك بالبُخل يا صاحبي، إذا مرّ أحدٌ بدارك ولم يطرقَ عليك بابك؟

«ومَن ذا الذي يستطيع أن يرميك بالصَّمم والإدبار عن الناس، وقد تحدّث إليك بلغةٍ غريبة لاتفهمها؟».

«أولَيس هذا الذي لم تَسْعَ يومًا إليه، ولم ترغب يومًا في تعمّق أسراره، هو الذي تُسمّيه بالقبح؟».

«فإذا كان القبحُ شيئا، فليس هو في الحق إلاّ الغشاوةُ تُغشّي عينيك، والصِّملاخُ يسدّ أذنيك».

«وحذار أن ترمي شيئا بالقبح يا صاحبي، فما القُبح حقّا إلاّ الخشيةُ تعتري النفسَ حين تحضُرها الذكريات».

was a whip in his words, and he said: "My friend, what man shall call you inhospitable if he shall pass by your house, yet would not knock at your door?

"And who shall deem you deaf and unmindful if he shall speak to you in a strange tongue of which you understand nothing?

"Is it not that which you have never striven to reach, into whose heart you have never desired to enter, that you deam ugliness?

"If ugliness is aught, indeed, it is but the scales upon our eyes, and the wax filling our ears.

"Call nothing ugly, my friend, save the fear of a soul in the presence of its own memories."

صفحة فارغة

صفحة فارغة

وذات يوم بينما هم قعود تحت الظّلال الممتدة لأشجار الحوْر البيضاء، تكلّم واحدٌ منهم وقال: «لشَدَّ ما أخشى الزمن أيّها المعلّم، فهو يمرّ بنا ويطوي شبابنا... فماذا يمنحنا عوِضاً عن ذلك؟».

فأجاب المصطفى: «اقبض الآن قبضةً من هذا الثَّرى الطيّب. ألست تجد فيها بذرةً وربما دودة؟. لو أن راحتَك من السَّعة وقوّة الاحتمال بمكان، فلربّما تغدو فيها البذرةُ غابة، ولربّما تصبح الدودة كوكبة من الملائكة. ألا لا يغيبنّ عنك أن السنينَ التي تجعلُ من البذور غابات، وتُحيلُ الدّودَ إلى ملائكة هي بنت هذه **اللحظة**. والسّنون كلها هي هذه **اللحظةُ**... **اللحظةُ** ذاتُها.

«وماذا تكون فصولُ السنين غير أفكار لك تتغيّر؟ ما الربيع إلا يقظةٌ تُشرق في صدرك، وما الصيفُ غيرُ شاهد على ما فيك من خصب. ثم أليس الخريفُ هو القديمَ فيك يغنّي مُهَدْهداً ما لا يزال طفلاً في صميم كيانك؟. وهل الشتاءُ لعَمْرك إلاّ إغفاءةٌ حُبلَى بالأحلام، ترى فيها سائر الفصولَ الأخرى؟».

ثم انبرى «**مانوس**» - وكان حواريا كثير السؤال والاستفسار- وتلفّت حوله حين رأى نباتات ذات

And upon a day as they sat in long shadows of the white poplars, one spoke saying: "Master, I am afraid of time. It passes over us and robs us of our youth, and what does it give in return?"

And he answered and said: "Take up now a handfull of good earth. Do you find in it a seed, and perhaps a worm? If your hand were spacious and enduring enough, the seed might become a forest, and the worm a flock of angels. And forget not that the years which turn seeds to forests, and worms to angels, belong to this Now, all of the years, this very Now.

"And what are the seasons of the years save your own thoughts changing? Spring is an awakening in your breast, and summer but a recognition of your own fruitfulness. Is not autumn the ancient in you singing a lullaby to that which is still a child in your being? And what, I ask you, is winter save sleep big with the dreams of all the other seasons."

And then Mannus, the inquisitive disciple, looked about him and he saw plants in flower



أزهار تنمو متسلّقة شجرة الجُمَّيْز، وقال: «انظر إلى الطفيليّات أيها المعلّم، فما قولك فيها؟ إنها اللصوص استرخت أجفانُهم الكليلة، يسلبون الضياء من أبناء الشمس المثابرين، ويمتصّون عصارة الحياة التي تجري في أغصانهم وأوراقهم».

وأجابه المصطفى قائلًا: «كلُّنا طفيليّون يا صاحبي. ولسنا - نحن الذين نَجْهَدُ لنجعلَ العُشْبَ ينبضُ بالحياة - أرفع شأنا من أولئك الذين يغتذون من العُشب بلا وسيط، وهم بالعُشب يجهلون».

«تُرى: أتقول الأمُّ لطفلها: إني لأردُّك إلى الغابة وهي أمُّك الكبرى، فقد أضنيتَ فؤادي وكلّتْ بك يدايْ؟».

«أم تُرى المغنّي يضيقُ بأغنيته فهو يقول: ارجعي عَجلةً إلى كهف الأصداء الذي منه أتيت فإن صوتَك يُنْهكُ أنفاسي؟...

«أم تُرى الراعي يقول للحَمَل وهو صاحبه: لا مرعَى بين يديّ أسوقُك إليه، فَلْتهلك إذن، ولتغدونّ قربانًا على مذبح هذه الغاية؟...

«لا يا صاحبي، فإن هذه المسائل كلَّها عندك جوابُها

cleaving unto the sycamore-tree. And he said: "Behold the parasites, Master. What say you of them? They are thieves with weary eyelids who steal the light from the steadfast children of the sun, and make fair of the sap that runneth into their branches and their leaves."

And he answered him saying: "My friend, we are all parasites. We who labour to turn the sod into pulsing life are not above those who receive life directly from the sod without knowing the sod.

"Shall a mother say to her child: 'I give you back to the forest, which is your greater mother, for you weary me, heart and hand'?

"Or shall the singer rebuke his own song, saying: 'Return now to the cave of echoes from whence you came, for your voice consumes my breath'?

"And shall the shepherd say to his yearling: 'I have no pasture whereunto I may lead you; therefore be cut off and become a sacrifice for this cause'?

"Nay, my friend, all these things are



صفحة فارغة

صفحة فارغة

قبل أن تُثيرَها، وهي كأحلامك تماما، تتحققُ قبلَ أن تنام.

نحن نعيش بعضنا لبعض ظهيرا وفْقا لقانون أزلي لا يجورُ عليه زمان. فَلْنَعشْ إذن متحَابين مُتراحمين، يسعَى الواحد منا إلى الآخر في وُحدته، ويمضي في الطريق حين يفتقد المأوى الذي يأوي إليه.

«أيها الأصدقاء والإخوان، إن الطريق الرّحيب هو رفيقُكم».

«فهذه النباتات التي تعيش على غيرها من الأشجار تمتصّ حليبَ الأرض في سكون الليل السَّاجي، والأرض في حُلمها الخليّ ترضعُ من ثديْ الشمس».

«والشمسُ مثلك ومثلي ومثل سائر الكائنات، تشاركنا جميعا شرف الجلوس إلى مأدبة **المولْى** . . . وبابه دائمًا غير مُوصد، ومائدته أبدا مبسوطة».

«أيْ «مانوس» يا صاحبي، إن كلَّ ما هو كائن يعيشُ على كل ما هو موجود، وكل ما هو موجود يعيش في إيمان بلا حدود على فيْض **العليّ المتعال**».

answered even before they are asked, and, like your dreams, are fulfilled ere you sleep.

"We live upon one another according to the law, ancient and timeless. Let us live thus in loving-kindness. We seek one another in our aloneness, and we walk the road when we have no hearth to sit beside.

"My friends and my brothers, the wider road is your fellow-man.

"These plants that live upon the tree draw the milk of the earth in the sweet stillness of night, and the earth in her tranquil dreaming sucks at the breast of the sun.

"And the sun, even as you and I and all there is, sits in equal honour at the banquet of the Prince whose door is always open and whose board is always spread.

"Mannus, my friend, all there is lives always upon all there is; and all there is lives in the faith, shoreless, upon the bounty of the Most High".



وذات صباح وكان ما زال يَغْشَى السماء شحوب الفجر، مضى الجميع سائرين في الحديقة، متطلّعين إلى **المشرق**، وقد لفّهم السّكون في حضرة الشمس البازغة.

وأشار المصطفي بيده بعد قليل، وقال: «إن صورةَ شمس الصّباح المتمثّلة في قطرة من النّدى، ليست أقلّ شأناً من الشّمس. كذلك صّورة الحياة المنعكسة على صفحة نفوسِكم، ليست أقل شأنا من الحياة».

فقطرة النّدى تعكسُ صورة الضياء، لأنها والضياء شيء واحد. وأنتم تعكسون صورة الحياة لأنكم والحياة شيء واحد.

«ولتهتفوا حين تغشاكم الظُّلمة: هذه الظُّلمة فجرٌ لم يولد بعد، ولن يلبث الليل المُدلّهمّ الذي يُطبقُ عليّ أن يتمخّض عن فجرٍ يُشرق عليّ كما يُشرق على الآكام».

«إن قطرةَ النَّدى وهي تستوي كُرةً في طوايا الزّنبقة لا تختلف عنك وأنت تَلُمُّ شتات نفسك في ذات الله.

«فإذا قالت قطرةُ النّدى: «ألا لقد كنت أيضًا ذات مرة قطرةَ ندى منذ ألف سنة». فَلْتُجبها قائلا: «ألا تعلمين أن ضوءَ السنين كلها يتألّق في محيطك؟»».

صفحة مفقودة

وذات مساء ألّمت بمقامهم عاصفةٌ هوجاء، فدَلَفَ المصطفى وحواريّوه التسعة إلى الداخل، وجلسوا إلى النار وقد شَملهم الصّمت والسكون .

وحينئذ قال أحد الحواريين : «إني وحيدٌ أيها المعلّم وأُحسّ بسنابك الزمن تدوسُ صدري في عنف وشدّة» .

فنهض المصطفى واقفًا وسطهم، وقال في صوت كأنما يخاطب به ريحًا عاتية : «وحيد! وماذا يضيرُك؟ لقد أتيتَ وحيداً، وستمضي وحيداً صوب جْوف الضباب .

فَلْتشرب إذن كأسك وحيداً في سكون . إن أيام الخريف قد منحت شفاهًا أخرى غير شفتيك كؤوسا أخرى وأتْرعَتْها بالخمر، مُرِّها وحُلوِها، كما أترعت كأسَك سواء بسواء .

فلتشربْ كأسَك وحيدا، وإن كان مذاقُها من مذاق دمك ودموعك، و اشكر الحياةَ على نعمة الظمأ . فلوْلا الظَمأ لما كانَ قلبُك إلا شاطئا لبحر ناضبَ، لا يهدر ولا يحرّكه مدّ .

And on an evening a great storm visited the place, and Almustafa and his disciples, the nine, went within and sat about the fire and were still and silent.

Then one of the disciples said: "I am alone, Master, and the hoofs of the hours beat heavily upon my breast."

And Almustafa rose up and stood in their midst, and he said in a voice like unto the sound of a great wind: "Alone! And what of it? You came alone, and alone shall you pass into the mist.

"Therefore drink your cup alone and in silence. The autumn days have given other lips other cups and filled them with wine bitter and sweet, even as they have filled your cup.

"Drink your cup alone though it taste of your own blood and tears, and praise life for the gift of thirst. For without thirst your heart is but the shore of a barren sea, songless and without a tide.



«لتشربْ كأسَك وحيدًا، ولتشربها متهلّلاً مُسْتَبْشرًا».

«وارفعها عاليا فوق رأسك، ولتجرعها حتى الثّمالة في نَخْب مَن يشربون وحدَهم، لا أنيسَ لهم ولا نديم.

«لقد سعيتُ ذات مرة إلى صُحْبة الناس، وجلست معهم إلى موائدهم، وشاركتهم الشّراب حتى الثُّمالة، غير أن خمرَهم لم ترق إلى رأسي، ولا هي تدفّقت في صدري وإنما هبطت إلى قدميّ، فجفّ معينُ حكمتي وانقبض قلبي وبات موصدًا. ولم تُشاركهم في غياهب حيْرتهم إلاّ قدمايْ.

وبعدها، أمسكتُ عن السَّعي إلى الصّحاب، وأمسكتُ عن مشاركتهم الخمر على مائدة الشّراب.

«ولذلك أقول لك: ماضَرَّك إذا داست سنابكُ الزمن صدرك في عنف وشدّة؟ خيرٌ لك أن تشربَ كأس أتراحك وحيدا، كما تشربُ كأسَ أفراحك وحِيدا».

"Drink your cup alone, and drink it with cheers.

"Raise it high above your head and drink deep to those who drink alone.

"Once I sought the company of men and sat with them at their banquet-tables and drank deep with them; but their wine did not rise to my head, nor did it flow into my bosom. It only descended to my feet. My wisdom was left dry and my heart was locked and sealed. Only my feet were with them in their fog.

"And I sought the company of men no more, nor drank wine with them at their board.

"Therefore I say unto you, though the hoofs of the hours beat heavily upon your bosom, what of it? It is well for you to drink your cup of sorrow alone, and your cup of joy shall you drink alone also."



وكان «فاردروس» الرّومي يجول في الحديقة يوما، فإذا قدمه تتعثّرُ بحجر، فغضب وارتدّ إلى الحجر والتقطه، وقال في صوت خفيض قبل أن يقذف به: «إيه أيّها الميْت الذي يعترض طريقي!».

فقال المصطفي، المختار الحبيب: «لمَ تقول: إيه أيها الميْت؟». أتقضي بالحديقة هذا الوقتَ الطويل دون أن تدرك أنه ما من ميْت هنا؟ الأشياءُ جميعا تعيشُ وتتألق في وَضَح النهَار وفي جلال الليل. أنت والحجر سواء، لافرق بينكما إلاّ في نبضات القلب. ستقول إن قلبَك ينبضُ أسرع قليلا من قلبه، أليس كذلك يا صاحبي؟ أجل، ولكن قلبك ليس فى سكينة قلبه واطمئنانه.

«ولقد يكون إيقاعُ قلبه غير إيقاع قلبك، ولكني أقولُ لك: إنك إذا سبرَت أغوار نفسك، ووعيت رحاب الفضاء، لما سمعت غير لحن واحد يشترك في أدائه النَّجم والحجر في توافق نغمي تام».

فإن لم تبلغ كلماتي إدراكَك، فاصبر حتى يُشرق عليك فجرٌ جديد. وإن كنت قد لعنت الحجر لأنك في

And on a day, as Phardrous, the Greek, walked in the Garden, he struck his foot upon a stone and he was angered. And he turned and picked up the stone, saying in a low voice: "O dead thing in my path!" and he flung away the stone.

And Almustafa, the chosen and the beloved, said: "Why say you: 'O dead thing'? Have you been thus long in this Garden and know not that there is nothing dead here? All things live and glow in the knowledge of the day and the majesty of the night. You and the stone are one. There is a difference only in heart-beats. Your heart beats a little faster, does it, my friend? Ay, but it is not so tranquil.

"Its rhythm may be another rhythm, but I say unto you that if you sound the depths of your soul and scale the heights of space, you shall hear but one melody, and in that melody the stone and the star sing the one with the other, in prfect unison.

"If my words reach not your understanding, then let be until another dawn.



غـفلتك عـثرتَ به، فـهل تَلُومَنّ النّجم إذا اصـطدم به رأسُك وهو سـابحٌ في الفضـاء؟ ألا ليـأتينّ اليـوم الذي ستجمعُ فيه الحجارة والنجوم، كما يقطفُ الطفلُ زنابق الوادي، ولتعلمنّ عندئذ أن الأشياء كلهـا تحيا وتتضوّع بالعبير».



If you have cursed this stone because in your blindness you have stumbled upon it, then would you curse a star if so be your head should encounter it in the sky. But the day will come when you will gather stones and stars as a child plucks the valley-lilies, and then shall you know that all these things are living and fragrant."



وفي اليوم الأول من الأسبوع حين طرقت رنّات أجراس المعبد آذانهم، تكلّم واحدٌ منهم فقال: «إنّا لنسمع هنا كلامًا كثيرًا عن الله أيها السيّد، فما قولك فيه؟ ومَنْ هو في كُنه الحقيقة؟».

ووقف المصطفي كشجرة فتيّة لا تهاب ريحًا ولا عاصفة، وأجاب قائلا: «تخيّلوا الآن أيّها الصّحاب والأحباب قلبًا يسعُ قلوبكم جميعًا، وحبًا يشمل حبكّم جميعا، وروحًا تحيطُ بأرواحكم جميعا، وصوتا يضمُّ أصوَاتكم جميعا، وسكينةً أعمق من سكينتكم جميعا، سكينة أزليّة أبديّة لايحدّها زمان».

«ارجعوا إلى جُماع أنفسكم، باحثين عن جمال تفوقُ روعتُه روعة كل جمال، وعن أغنية أبعدَ صيتًا من أغاني البحر والغاب، وعن جلال يسْتوي على العرش، عرشُ **الجوزاء** بالقياس إليه مَقعدٌ ضئيل، ويُمْسك بصولجان، "**الثريّا**" بالقياس إليه ومضة من ومضات قطر النّدى».

«ولئن كنتم تسعون دائمًا إلى الرزق والمأوى، وتلتمسون الكساء وعكّازًا تعتمدون عليه، فَلْتسعوا الآن إلى «**الواحد الأحد**» الذي لا هو بهدف تُصيبُه سهامكم، ولا هو بكهف صخري يقيكم أذى الطبيعة.

And on the first day of the week when the sounds of the temple bells sought their ears, one spoke and said: "Master, we hear much talk of God hereabout. What say you of God, and who is He in very truth?"

And he stood before them like a young tree, fearless of wind or tempest, and he answered saying: "Think now, my comrades and beloved, of a heart that contains all your hearts, a love that encompasses all your loves, a spirit that envelops all your spirits, a voice enfolding all your voices, and a silence deeper than all your silences and timeless.

"Seek now to perceive in your selffulness a beauty more enchanting than all things beautiful, a song more vast than the songs of the sea and the forest, a majesty seated upon a throne for which Orion is but a footstool, holding a scepter in which the Pleiades are naught save the glimmer of dewdrops.

"You have sought always only food and shelter, a garment and a staff; seek now One who is neither an aim for your arrows nor a stony cave to shield you from the elements.

«فإن وقعتْ كلماتي عليكم وقع الصّخور في ثقلها والألغاز في خفائها، فجدّوا في البحث إلى أن تنشقّ قلوبكم وتهديكم من حيرَتكم إلى حب **العليّ المتعال** وحكمته، ذلك الذي يُسمّيه الناس **الله**».

وسكتوا . . . جميعا، وحارت قلوبهم، واهتزّت نفس المصطفي رحمة بهم، وتطلّع إليهم في حنان، وقال: فلنكفّ الآن عن الحديث عن **الله االْمُهيْمن**، ولنتحدّث عن الأرباب من جيرانكم وإخوتكم، تلك الأرواحُ التي تطوف ببيوتكم وحقولكم.

لكم تودّون أن تَرقوا إلى السّحب على جناحِ الخيال، فتخالوا هذا سموّا، وأن تعبروا الخِضَمَّ الرّحيب فتحسبوه أمدا.

لكني أقول لكم: إنكم حين تبذُرون حبّة في الثّرى فأنتم تبلغون ما فوق الذُّرى، وحين تُشيدُون لجيرانكم بجمال الصّبح، فأنتم تَعبُرون خِضَمّا أرحب.

«وما أكثرَ ما تسبّحون بذكْر **الله السّرمديّ**، لكنكم في الحق لا تُصغون إلى تسبيحاتكم. ليتكم تنصتون

"And if my words are a rock and a riddle, then seek, none the less, that your hearts may be broken, and that your questionings may bring you unto the love and the wisdom of the Most High, whom men call God."

And they were silent, every one, and they were perplexed in their heart; and Almustafa was moved with compassion for them, and he gazed with tenderness upon them and said: "Let us speak no more now of God the Father. Let us speak rather of the gods, your neighbours, and of your brothers, the elements that move about your houses and your fields.

"You would rise in fancy unto the cloud, and you deem it height; and you would pass over the vast sea and claim it to be distance. But I say unto you that when you sow a seed in the earth, you reach a greater height; and when you hail the beauty of the morning to your neighbour, you cross a greater sea.

"Too often do you sing God, the Infinite, and yet in truth you hear not the song. Would



إلى الطيور المغرّدة، وإلى أوراق الشّجر وهي تسّاقط من أغصانها حين تمرُّ بها الريح. ثم لا تنسوا أيها الصّحاب، أنها لا تَشْدو إلا حين تنفصل عن الغصن!

وإني لأعود فأهيب بكم ألا تترخَّصوا في الحديث عن **الله** الذي هو **أنتم جميعا**، وخيرٌ لكم أن يتحدّثُ كلٌ منكم إلى صاحبه وأن يفهمَ عنه، وليكن حديثه إليه حديث الجار إلى الجار، والربّ إلى الربّ.

فمَن ذا الذي يُطعمُ الفرخَ المَريش في عُشِّه إذا ما طارت عنه أمُّه محلّقةً في السماء؟ وأية شقيقة من شقائق النعمان في الحقل يكملُ نموّها إن لم تلقّحَها نحلةٌ من شقيقة أخرى؟».

إنكم لا تتّجهون إلى السماء التي تدعونها **الله** إلا حينما تضلّون بينكم وبين ذاتكم الصغرى. وياليْتكم تلتمسون الأسباب إلى ذاتكم العليا، وتُنْضون عنكم شيئًا من توانيكم، وتعبّدون السُّبل إليها!.

that you might listen to the song-birds, and to the leaves that forsake the branch when the wind passes by, and forget not, my friends, that these sing only when they are separated from the branch!

"Again I bid you to speak not so freely of God who is your All, but speak rather and understand one another, neighbour unto neighbour, a god unto a god.

"For what shall feed the fledgling in the nest if the mother bird flies skyward? And what anemone in the field shall be fulfilled unless it be husbanded by a bee from another anemone?

"It is only when you are lost in your smaller selves that you seek the sky which you call God. Would that you might find paths into your vast selves; would that you might be less idle and pave the roads!



"My mariners and my friends, it were wiser to speak less of God, whom we cannot understand, and more of each other, whom we may understand. Yet I would have you know that we are the breath and the fragrance of God. We are God, in leaf, in flower, and oftentimes in fruit."

أيهـــا الملاحـــون والأصدقـاء، لقـد كـان أحْجَى بنا أن نقتصدَ في الحـديث عن الله الذي يعزُّ علينا أن نفهمه، وأن يكثرَ حديثُ بعضنا عن بعض، فذلك أقربُ إلى الأفـهـام. على أنني وددتُ لو تدركـون أننا أنفاسُ الله وشذاه. وأننا الله، مـاثلا في ورقـة الشـجـر، وفي الزهرة، بل وفي الثـمـرة أكـثـر الأحيان.

صفحة فارغة

وذات صباح حين كانت الشمس تتوسّط كبد السماء، اقترب منه أحد مُريديه، وكان واحدا من هؤلاء الثلاثة الذين شهدوا ملاعب صباه، وقال: "لقد بَلي ثوبي أيها المعلّم ولست أملك ثوبًا سواه، فأذَنْ لي أن أقصدَ السوق أساوم على غيره، لعلّي أظفرُ بثوب جديد».

وألقى المصطفي نظرةً على الشاب وقال: «إليَّ بثوبك». ففعل الرجل ما أمره به المصطفي، و وقف عاريًا في وضح النهار.

وقال المصطفي في صوت يُشبه صوت مُهْر فتيّ يعدو فوق الطريق: «لا يعيشُ في النُّور إلا العُرّيان، ولا يمتطي الريح إلا الغرُّ الساذج، ومَن يَضِلّ طريقَه ألفَ مرة ينعمْ وحدَه بالعودة إلى دياره».

«لقد ضاقت الملائكة بالأريب الماهر، وقد هتفَ بي بالأمس القريب ملاكٌ من الملائكة فقال: إنما خلقنا الجحيم للمُتباهين. وهل غيرُ النار شيءٌ يُذيب الغشاوات المُتوهّجة حتى تنجلي الحقائق؟».

فقلت: «ولكنكم بخَلْقِكم الجحيم، خلقتم زبانيةً

And on a morning when the sun was high, one of the disciples, one of those three who had played with him in childhood, approached him saying: "Master, my garment is worn, and I have no other. Give me leave to go unto the market-place and bargain that perchance I may procure me new raiment."

And Almustafa looked upon the young man, and he said: "Give me your garment." And he did so and stood naked in the noonday.

And Almustafa said in a voice that was like a young steed running upon a road: "Only the naked live in the sun. Only the artless ride the wind. And he alone who loses his way a thousand times shall have a home-coming.

"The angels are tired of the clever. And it was but yesterday that an angel said to me: 'We created hell for those who glitter. What else but fire can erase a shining surface and melt a thing to its core?'

"And I said: 'But in creating hell you created devils to govern hell.' But the angel



صفحة فارغة

صفحة فارغة

تَسُوسُه». فأجابني الملاك: كلا، فإن مَنْ بيدهم أمر الجحيم لا تَمسُّهم النار.

«ألا ما أشدّ حكمة هذا الملاك! إنه ليعلم سُبُل الناس وسُبُل أنصاف الناس، وإنه لواحد من الملائكة المقرّبين يهبطون إلى الأرض لهداية الأنبياء الذين يفتنهم الدّهاة الحاذقون. ولا شك أنه يضحك حين يضحك الأنبياء ويبكي أيضا حين يبكون».

«إي ملاحي وصحابي: العُريان وحده يعيش في الشمس، ومن لا دفّة له يستطيع وحده أن يمخُرَ عباب البحر الأكبر. ومَن تُضاجعُ ظُلمةُ نفسه ظُلمةَ الليل هو وحده الذي يستيقظ مع الفجر. وذلكَ الذي يغفو مع الجذور تحت الجليد هو وحده الذي يُدرك الربيع».

«فأنتم كالجذور. أجل كالجذور في بساطتها، لكنكم تكسبون الحكمة من الثّرى. وأنتم ساكنون صامتون، على أنكم تطوُون في غصونكم التي لم تنبت بعد تراتيلِ الرياح الأربع».

«وأنتم ضعاف واهنون، لم تستووا بعد على صورة، ولكن فيكم بشائر السنديانة الضخمة، ومخايل الصفصافة أوشكت أن ترتسم على صفحة السماء».

answered: 'Nay, hell is governed by those who do not yield to fire.'

"Wise angel! He knows the ways of men and the ways of halfmen. He is one of the seraphim who come to minister unto the prophets when they are tempted by the clever. And no doubt he smiles when the prophets smile, and weeps also when they weep.

"My friends and my mariners, only the naked live in the sun. Only the rudderless can sail the greater sea. Only he who is dark with the night shall wake with the dawn, and only he who sleeps with the roots under the snow shall reach the spring.

"For you are even like roots, and like roots are you simple, yet you have wisdom from the earth. And you are silent, yet you have within your unborn branches the choir of the four winds.

"You are frail and you are formless, yet you are the beginning of giant oaks, and of the half-pencilled pattern of the willows against the sky.



"Once more I say, you are but roots betwixt the dark sod and the moving heavens. And oftentimes have I seen you rising to dance with the light, but I have also seen you shy. All roots are shy. They have hidden their hearts so long that they know not what to do with their hearts.

"But May shall come, and May is a restless virgin, and she shall mother the hills and plains."

«وإني لأعُود فأردّد لكم القول: إنكم لستم إلا جذورا تستكنّ بين الثَّرى الداكن والسموات السابحة. وما أكثر ما رأيتكم تنهضون لمراقصة الضياء، ولكني رأيتكم أيضا هيّابين. وكل الجذور تهاب الضياء، فقد أخفت قلوبَها طويلا حتى حارت ماذا تفعل بهذي القلوب.

على أن الربيع سوف يُقبل، والربيع عذراء قَلقة تهفو كالأم إلى احتضان الرُّبى والسهول».

صفحة فارغة

وتوسّل إليه سادن من سَدنة المعبد فقال: "أيها المعلّم . . . اهْدنا حتى تكون كلماتنا ككلماتك، أنشودة للناس وبَخُوراً».

فأجابه المصطفى قائلا: «لسوف تحلّقون فوق كلماتكم، غير أن سبيلكم سيظل ترتيلاً وعبيرا، ترتيلاً للمحبين ولكل محبوب، وعبيراً لأولئك الذين يودّون أن يحيوا حياتهم في بستان».

على أنكم سوف تحلّقون فوق كلماتكم حتى تبلغوا قمّة يتساقط عليها غبار النجوم، وسوف تبسطون أيديكم حتى تمتلئ، ثم ترقدون وتنامون كالفرخ المَريش في عشّ أبيض، وتحلمون بغدِكم كما تحلم زهور البنفسج البيضاء بالربيع.

أجل، وستهبطون إلى أعمق مما تهبط إليه كلماتكم، وتلتمسون المنابع المجهولة للجداول، وتُصبحون كهفًا خفيًا تتجاوب فيه الأصداء الخافتة في الأعماق التي تغيب الآن عن أسماعكم.

لسوف تهبطون إلى أعمق مما تهبط إليه كلماتكم، بل أعمق من الأصوات جميعا، إلى السُّويداء من قلب

And one who had served in the Temple besought him saying: "Teach us, Master, that our words may be even as your words, a chant and an incense unto the people."

And Almustafa answered and said: "You shall rise beyond your words, but your path shall remain, a rhythm and a fragrance; a rhythm for lovers and for all who are beloved, and a fragrance for those who would live life in a garden.

"But you shall rise beyond your words to a summit whereon the star-dust falls, and you shall open your hands until they are filled; then you shall lie down and sleep like a white fledgling in a white nest, and you shall dream of your to-morrow as white violets dream of spring.

"Ay, and you shall go down deeper than your words. You shall seek the lost fountain-heads of the streams, and you shall be a hidden cave echoing the faint voices of the depths which now you do not even hear.

"You shall go down deeper than your words, ay, deeper than all sounds, to the very



الأرض، وهناك ستكونون **معه** وحَدكم . . . ذلك الذي يسير أيضا على **طريق المجرّة**».

وبعد برهة سأله حواريّ وقال: «حدّثنا عن الوجود أيها المعلّم، وما هو كُنْه الوجود؟».

ونظر إليه المصطفي مليّا وفاض قلبه بحبّه. ثم نهض وسار بعيدا عنهم، وعندما عاد، قال: «في هذه **الحديقة** يرقدأبي وترقد أمي و قد وسَّدَتْهما الثَّرى أيدي الأحياء. وفي هذه **الحديقة** تغيب بذور السنة الماضية، حملتها إلى هنا أجنحة الريح. ولسوف يرقد في الثَّرى ألفَ مرّة جثمان أبي وجثمان أمّي، وألف مرة ستواري الريحُ البذور، ولسوف نُقبل معا بعد ألف عام، أنا وأنتم وهذه الزهرات، إلى هذه **الحديقة** كما هي حالنا الآن فيتحقّق **وجودُنا**، وسنكون من عشّاق الحياة، وسنكون من الحالمين بالفضاء، وسنكون من الصّاعدِين صوب الشمس.

«غير أننا اليومَ كي نبقَى، لا بد أن نكون حكماء دون أن نَزْوَرّ عن الحمقَى، وأن نكون أقوياء دون أن نَعْصفَ بالضعفاء، وأن نلعبَ مع الأطفال الصغار فلا

heart of the earth, and there you shall be alone with Him who walks also upon the Milky Way."

And after a space one of the disciples asked him saying: "Master, speak to us of being. What is it to *be*?"

And Almustafa looked long upon him and loved him. And he stood up and walked a distance away from them; then returning, he said: "In this Garden my father and my mother lie, buried by the hands of the living; and in this Garden lie buried the seeds of yesteryear, brought hither upon the wings of the wind. A thousand times shall my mother and my father be buried here, and a thousand times shall the wind bury the seed; and a thousand years hence shall you and I and these flowers come thogether in this Garden even as now, and we shall *be* loving life, and we shall *be* dreaming of space, and we shall *be* rising toward the sun.

"But now today to *be* is to be wise, though not a stranger to the foolish; it is to be strong, but not to the undoing of the weak; to play

صفحة فارغة

صفحة فارغة

نُشْعرهم بأننا آباء، بل نلعب معهم كما يلعب الرفقاء، يودّون أن يتعلّموا ألعابهم.

عليكم أن تكونوا بسطاء في غير خُبث مع المُسنّين من الرجال والمُسنّات من النساء، وتجلسوا معهم في ظل السنديانة العتيقة، وإن كنتم لا تزالون في ريّق العمر وربيع الحياة.

عليكم أن تَسْعَوْا إلى الشاعر ولو كان يقيم وراء الأنهار السبعة، وأن تُبدوا الطمأنينة في حَضْرته، لا تطلبوا حاجة، ولا تُظْهروا شكًا، ولا يطوف بشفاهكم ظلٌ لسؤال.

واعلموا أن القدّيس والآثم توأمٌ، أبوهما ملكُنا الرحيم، وأن أحدهما قد وُلد قبل أخيه بلحظة، فجعلناه له وليّا.

هيموا وراء الجمال واتبعوه وإن قادكم إلى شفا الهاوية. أجل، اتبعوه وإن كان ذا جناح وأنتم لا جناح لكم، اتبعوه وإن انتهي بكم إلى الهاوية. اتبعوه، فإن افتقدتم الجمال، افتقدتم كل شيء.

with young children, not as fathers, but rather as playmates who would learn their games;

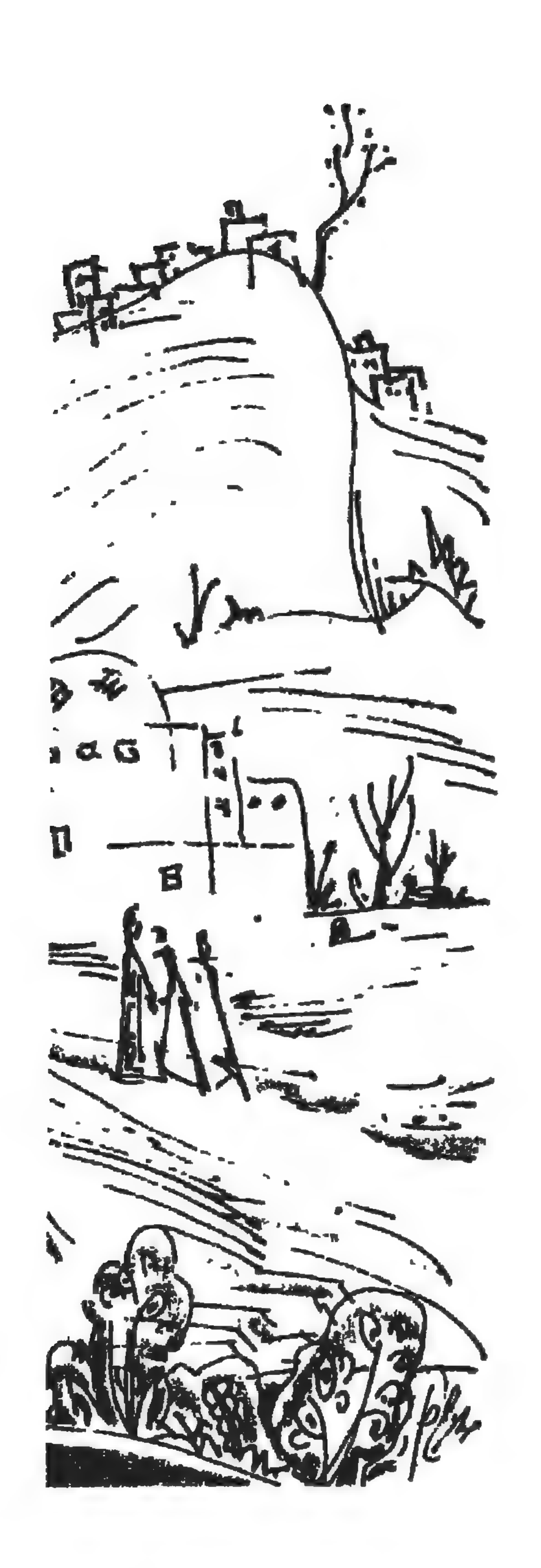
"To be simple and guileless with old men and women, and to sit with them in the shade of the ancient oak-trees, though you are still walking with Spring;

"To seek a poet though he may live beyond the seven rivers, and to be at peace in his presence, nothing wanting, nothing doubting, and with no question upon your lips;

"To know that the saint and the sinner are twin brothers, whose father is our Gracious King, and that one was born but the moment before the other, wherefore we regard him as the Crowned Prince;

"To follow Beauty even when she shall lead you to the verge of the precipice; and though she is winged and you are wingless, and though she shall pass beyond the verge, follow her, for where Beauty is not, there is nothing."



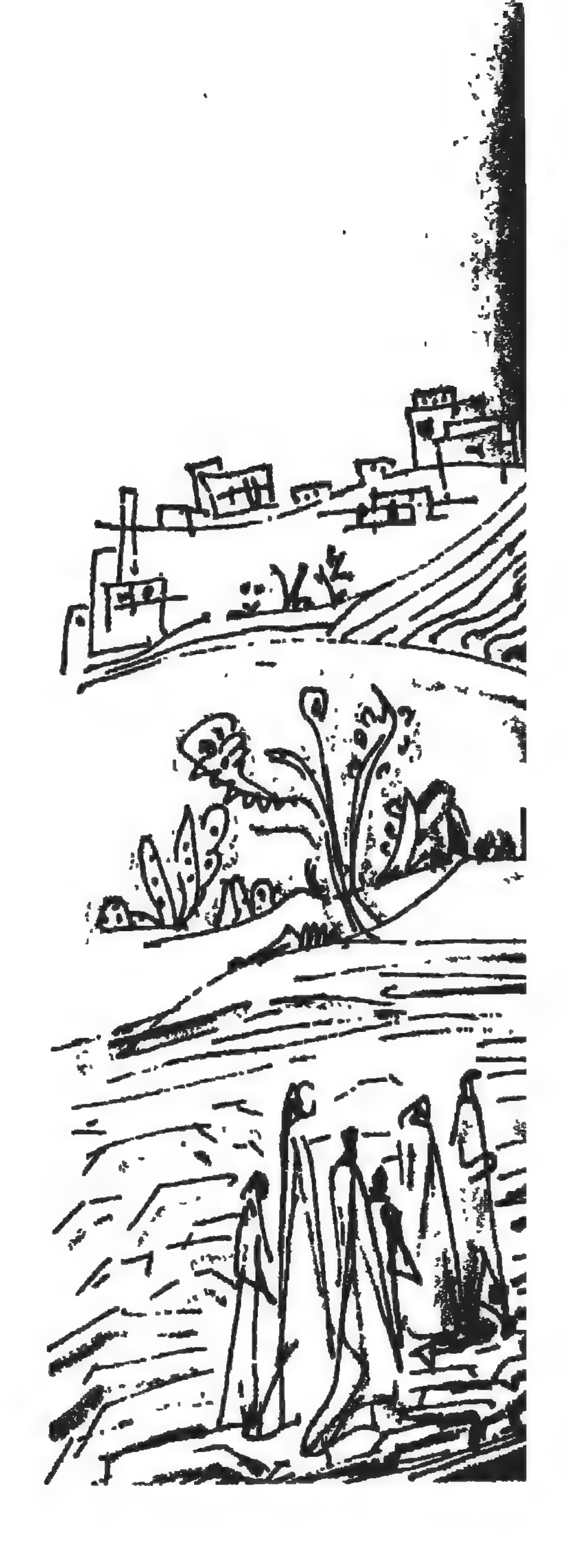


كونوا حديقة غير ذات أسوار، وكرمة لا حارس دونها، وكنزا مباحا ينالُ منه كل عابر.

عيشوا نهبًا لسَرق السّارق، وغشّ الغاش، وخداع الخادع. أجل، كونوا صيداً للخديعة وارتموا في حبائلها ولو سخر منكم الناس، فليس هذا كله بضائركم. إنكم عندها سوف تُشرفون من عليائكم وتبتسمون، عالمين أن الربيع سيوافي حديقتكم من بعد ليرقص على أوراق الشجر، وأن الخريف سيُقبل ليُنضج أعنابكم، مدركين أن أيديكم لن تخلو من الرزق

"To be a garden without walls, a vineyard without a guardian, a treasure-house for ever open to passers-by;

"To be robbed, cheated, deceived, ay, misled and trapped and then mocked, yet with it all to look down from the height of your larger self and smile, knowing that there is a spring that will come to your garden to dance in your leaves, and an autumn to ripen your grapes; knowing that if but one of your windows is open to the East, you shall



ما دامت نافذةٌ واحدة من نوافذكم تطلّ على **المشرق**،
موقنين أن جميع مَنْ يعدّهم الناس أشرارا ولصوصا
وغاشّين ومخادعين هم إخوانكم في الحاجة. ولعلكم
أنتم على شاكلة هؤلاء جميعا في عين أهل النعيم
الذين يسكنون تلك **المدينة المكنونة** التى تسمو فوق
هذه المدينة.

وبعد، فإني أوجّه الخطاب إليكم أيضا يا مَنْ تصورّ
أيديكم وتُبْدع الأشياء التي نحتاج إليها لمتعة أيامنا
ولياليناً.

"**لكي تكونوا** فانسجوا بأصابع تُبصر، وابنوا مُلقين
بالاً للضياء والفضاء، وكونوا حارثين تحسّون أنكم
تُخفون مع كل حبّة تبذرونها كنزا، وكونوا صيّادي
سمك وقنّاصين يرحمون السّمك ويترفّقون بوَحْش
الغاب، ويأخذهم مزيد من الشفقة بالجوْعَى
والمُعْوزين.

«وأهم من هذا كله أقول لكم: وددت لو أن كلاّ
منكم وكُلّكم جميعا يشارك في الغاية التي يسعى إليها
كل إنسان سواه، فبهذا وحده يكون أملكم في بلوغ
غايتكم الطيبة».



never be empty; knowing that all those deemed wrongdoers and robbers, cheaters and deceivers are your brothers in need, and that you are perchance all of these in the eyes of the blessed inhabitants of that City Invisible, above this city.

"And now, to you also whose hands fashion and find all things that are needful for the comfort of our days and our nights .

"To *be* is to be a weaver with seeing fingers, a builder mindful of light and space; to be a ploughman and feel that you are hiding a treasure with every seed you sow; to be a fisherman and a hunter with a pity for the fish and for the beast, yet a still greater pity for the hunger and need of man.

"And, above all, I say this: I would have you each and every one partners to the purpose of every man, for only so shall you hope to obtain your own good purpose.



«أي رفاقي وأحبابي، فلْتتذرّعوا بالشجاعة لا الاستكانة، ولتكونوا رَحْبي الباع غير مُضَيِّقين على أنفسكم؛ ولتكونوا حتى ساعتي الأخيرة وساعتكم جديرين حقا بذواتكم العليا».

ثم أمسك المصطفي عن الكلام، وخيّم على مُريديه التسعة وجوم شديد، وتحوّلت قلوبهم عنه، فقد عجزوا عن فهم كلماته.

وفجأة هَفَتْ نفوسُ الملاحين الثلاثة إلى البحر، وأولئك الذين قاموا على خدمة المعبد عاودهم الحنين إلى التماس السَّكينة في المحراب. أما الذين شهدوا ملاعب صباه فقد تطلّعوا إلى السوق. وصدّوا جميعا عن كلماته، فارتدّت إليه ملتمسةً المأوى التماسَ أسرابِ الطيور الشريدة.

وسار المصطفي بعيدا عنهم في الحديقة، لا يفوه بكلمة، ولا يُلقي عليهم نظرة.

وبدأوا يتدبّرون الأسباب فيما بينهم، ويلتمسون المعاذير لشوقهم إلى الرحيل.

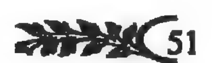
"My comrades and my beloved, be bold and not meek; be spacious and not confine; and until my final hour and yours be indeed your greater self."

And he ceased from speaking and there fell a deep gloom upon the nine, and their heart was turned away from him, for they understood not his words.

And behold, the three men who were mariners longed for the sea; and they who had served in the Temple yearned for the consolation of her sanctuary; and they who had been his playfellows desired the market-place. They all were deaf to his words, so that the sound of them returned unto him like weary and homeless birds seeking refuge.

And Almustafa walked a distance from them in the Garden, saying nothing, nor looking upon them.

And they began to reason among themselves and to seek excuse for their longing to be gone.



And behold, they turned and went every man to his own place, so that Almustafa, the chosen and the beloved, was left alone.

وسرعان ما أداروا وجوههم، ومضى كلٌّ منهم إلى قصده . . . وهكذا بقي المصطفى المختار الحبيب وحده.

صفحة فارغة

فلما ادلهمّ الليل، تحسّس خُطاه نحو قبر أمه، وجلس تحت شجرة الأرز النابتة فوقه. وهنالك رفّ طيفُ ضوء عظيم في صفحة السماء، وتألّقت الحديقةُ تألّق الجوهرة الخلاّبة فوق صدر الأرض.

وندّت عن المصطفي صرخةٌ صادرة مِن وحدة روحه وقال:

قد ناءت روحي بما تحملُ من ثمرات ناضجة، فهل مَنْ يأتي ويقطفُ منها وتطيبُ بها نفسه؟ ألا منْ صائم كريم النفس سخيّ القلب يأتي ويفطر معي على باكورةَ ما أنضجتُه للشمس من ثماري، فيُريحُني من ثقل ما أحمل من خيرات؟.

إن روحي لَتفيضُ متدفّقةً مع خمر العصور، فهل من ظامئ يأتي ويروي منها غلّته؟.

انظروا: ذات مرة وقف رجلٌ في مفترق الطرق باسطًا يديْه للعابرين وقد امتلأت بالحُليّ والجوهر، وهتف بهم قائلا: رحمةً بي، خذوا ممّا معي. سألتكم الله أن تأخذوا ما في يدي كيْ تُرِيحُوا خاطري».

And when the night was fully come, he took his steps to the grave-side of his mother and sat beneath the cedar-tree which grew above the place. And there came the shadow of a great light upon the sky, and the Garden shone like a fair jewel upon the breast of earth.

And Almustafa cried out in the aloneness of his spirit, and he said:

"Heavy-laden is my soul with her own ripe fruit. Who is there would come and take and be satisfied? Is there not one who has fasted and who is kindly and generous in heart, to come and break his fast upon my first yieldings to the sun thus ease me of the weight of mine own abundance?

"My soul is running over with the wine of the ages. Is there no thirsty one to come and drink?

"Behold, there was a man standing at the cross-roads with hands stretched forth unto the passers-by, and his hands were filled with jewels. And he called upon the passers-by, saying: 'Pity me, and take from me. In God's name, take out of my hands and console me.'

غير أن المارّة قنعوا بالتطلّع إليه، ولم يأخذ واحدٌ منهم شيئا.

ألا ليته كان شحّاذا يمدّ يده ليأخذ، أجل يمدّ يداً راجفة ثم يردّها إلى صدره فارغة، فذلك خير من أن يمدّ يدا مليئة بنفيس العطايا، فلا يجد مَنْ يأخذ منه».

انظروا: لقد كان هناك أيضا أمير جليل، نَصَبَ خياما من حرير بين الجبل والصحراء، وأمر أتباعه أن يُشعلوا النار هَدْيًا للغريب وعلامة للضال، وأرسل عبيده ليرقُبوا الطريق لعلّهم يصادفون ضيفا. غير أن شِعاب الصحراء أقفرت ولم تَجُدْ بإنسان.

ألا ليت ذلك الأمير كان رجلا مجهولا لا زمان له ولا مكان، يلتمس الطعام والمأوى. ألا ليته كان شريداً لا يحمل إلا عصاه وجرّةً من فخار، فقد كان حَرِيّاً أن يلتقي بمَن هُم على شاكلته من شعراء مجهولين، فيشاركهم سؤالهم وذكرياتهم وأحلامهم كلما أسدل الليل ستاره.

"But the passers-by only looked upon him, and none took out of his hand.

"Would rather that he were a beggar stretching forth his hand to receive - ay, a shivering hand, and brought back empty to his bosom - than to stretch it forth full of rich gifts and find none to receive.

"And behold, there was also the gracious prince who raised up his silken tents between the mountain and the desert and bade his servants to burn fire, a sign to the stranger and the wanderer; and who sent forth his slaves to watch the road that they might fetch a guest. But the roads and the paths of the desert were unyielding, and they found no one.

"Would rather that prince were a man of nowhere and nowhen, seeking food and shelter. Would that he were the wanderer with naught but his staff and an earthen vessel. For then at nightfall would he meet with his kind, and with the poets of nowhere and nowhen, and share their beggary and their remembrances and their dreaming.



"And behold, the daughter of the great king rose from sleep and put upon her silken raiment and her pearls and rubies, and she scattered musk upon her hair and dipped her fingers in amber. Then she descended from her tower to her garden, where the dew of night found her golden sandals.

وانظروا، تلك ابنة الملك العظيم، نهضت من نومها ودلَفَتْ في ثوب من حرير وازّينت باللآلئ والياقوت، ونضحت شعرها بالمسْك، وغمست أصابعها في العنبر، ثم هبطت من بُرجها إلى الحديقة، ولامس نعلُها الذهبي ندى الليل.

"In the stillness of the night the daughter of the great king sought love in the garden, but in all the vast kingdom of her father there was none who was her lover.

وفي سكون الليل نَشَدَتْ ابنة الملك العظيم الحب في الحديقة، غير أنها لم تجد في مُلْك أبيها الواسع جميعا مَنْ خفق قلبه بحبّها.



صفحة فارغة

ألا ليتها كانت ابنة فلاح ترعَى غنم أبيها في الحقل وتؤوب إلى داره مع المساء، وقد علَقَ تُراب الدّروب بقدميْها، وعبقت طيّات ثوبها بعبير الكروم، فإذا حلّ المساء ورفرف ملاك الليل على العالم، استرقت الخُطى صوب الوادي حيث الحبيب في انتظارها.

ألا ليْتها كانت راهبة في دير تحرقُ قلبَها بخوراً يتصاعد مع الريح، وتبذلُ نفسَها شمعةً يتسامى ضوؤها إلى النور الأسمى، هي ونفوس كل متعبّد وكل عاشق ومعشوق.

ألا ليْتها كانت امرأة عريقة بسنيها الطوال تجلسُ في ضوء الشمس وتذكرُ مَنْ شاركهَا الشباب.

وأمعن الليل في الظُّلمة، وأظلمت نفس المصطفي مع الليل، وغدت روحه كالسّحابة المثقلة لم تنفض عنها حلمَها، ثم صاح مرة أخرى:

لَشَدَّ ما هي مثقلةٌ بثمارها. ألا مَنْ يأتي الآن ليصيبَ منها حتى يقنعَ؟

"Would rather that she were the daughter of a ploughman, tending his sheep in a field, and returning to her father's house at eventide with the dust of the curving roads upon her feet, and the fragrance of the vineyards in the folds of her garment. And when the night is come, and the angel of the night is upon the world, she would steel her steps to the river-valley where her lover waits.

"Would that she were a nun in a cloister burning her heart for incense, that her heart may rise to the wind, and exhausting her spirit, a candle, for a light arising toward the greater light, together with all those who worship and those who love and are beloved.

"Would rather that she were a woman ancient of years, sitting in the sun remembering who had shared her youth."

And the night waxed deep, and Almustafa was dark with the night, and his spirit was as a cloud unspent. And he cried again:

"Heavy-laden is my soul with her own ripe fruit;



إن روحي تفيضُ بخمرها، هل مَنْ يُريقها الآن ويشرب ويطفئ لهيب البيداء اللافح ؟

ألا ليتني كنت شجرة بلا زهر، وشجرة بلا ثمر.

فإن ألمَ السَّعة والوفرة أمَرُّ من ألمِ الإملاق والإجداب.

وحسرة الغنيّ الذي لا يجد مَنْ يأخذ منه أشدّ من حسرة السائل الذي لا يجد أحدا يعطيه.

ألا ليتني كنت عينًا جافة نَضب مَعينها، يُلقي فيها الناس بالحجارة.

فلعمري إن ذلك لأكرم على النفس وأهْوَن من أن أكون منبعا للماء الجيّاش يمرّ به الناس فلا يشربون.

ألا ليتني كنت قصبةً تطؤها الأقدام،

Heavy-laden is my soul with her fruit.
Who now will come and eat and be fulfilled?
My soul is overflowing with her wine.
Who now will pour and drink and be
cooled of the desert heat?
"Would that I were a tree flowerless and fruitless,
For the pain of abundance is more bitter than barrenness,

And the sorrow of the rich from whom no one will take,
Is greater than the grief of the beggar to whom none would give.

"Would that I were a well, dry and parched, and men throwing stones into me;
For this were better and easier to be borne than to be a source of living water
When men pass by and will not drink.

"Would that I were a reed trodden under foot,



For that were better than to be a lyre of silvery strings
In a house whose lord has no fingers

فلَعَـــمـــري إن ذلك
لأفـضلُ من أن أكــون
قـــيـــثــارةً أوتارُها من
فضّـة، في دار ربُّـهـا بلا
أصابع

And whose children are deaf."

وأطـفـــــالـهُ صُـمٌّ لا
يسمعون.

صفحة فارغة

وانقضت سبعةُ أيام وسبع ليال لم يقترب فيها أحد من الحديقة، وخلا المصطفي بذكرياته وأشجانه، فقد انصرف عنه إلى شؤون الحياة، حتى أولئك الذين استمعوا إلى كلماته في حب وصبر.

لكن «كريمة» وحدها أقبلت والوجوم يغشّي وجهَها كأنه نقاب، وفي يدها كأسٌ وصفحة، كأسٌ فيها شراب يؤنس وحدَته، وصفحةٌ عليها لحمٌ يُشبع جوعَه. وبعد أن سوَّت هذه الأشياء أمامه، عادت أدراجها.

وألقى المصطفي بنفسه مرة أخرى في ظلال أشجار الحوْر البيضاء أمام رحبة الباب، وجلس يرقب الطريق. وبعد برهة رأى كأن سحابةً من الغبار قد انعقدت فوق الطريق وأخذت تزحف نحوه، ومن خلال السّحابة ظهر مريدوه التسعة تتقدّمهم «كريمة».

وتقدّم المصطفي ليلقاهم على الطريق، فمرّوا خلال الباب وكانوا جميعا على خير حال، وكأنهم ما غادروه إلى سبُلهم إلا ساعة من الزمان.

وأقبل مريدوه وشاركوه وجبة عشائه الزهيد، ثم وضعت «كريمة» الخبز والسمك على المائدة، وصبّت

Now, for seven days and seven nights no man came nigh the Garden, and he was alone with his memories and his pain; for even those who had heard his words with love and patience had turned away to th pursuits of other days.

Only Karima came, with silence upon her face like a veil; and with cup and plate within her hand, drink and meat for his aloneness and his hunger. And after setting these before him, she walked her way.

And Almustafa came again to the company of the white poplars within the gate, and he sat looking upon the road. And after a while he beheld as it were a cloud of dust blown above the road and coming toward him. And from out the cloud came the nine, and before them Karima guiding them.

And Almustafa advanced and met them upon the road, and they passed through the gate, and all was well, as though they had gone their path but an hour ago.

They came in and supped with him at his frugal board, after that Karima had laid upon

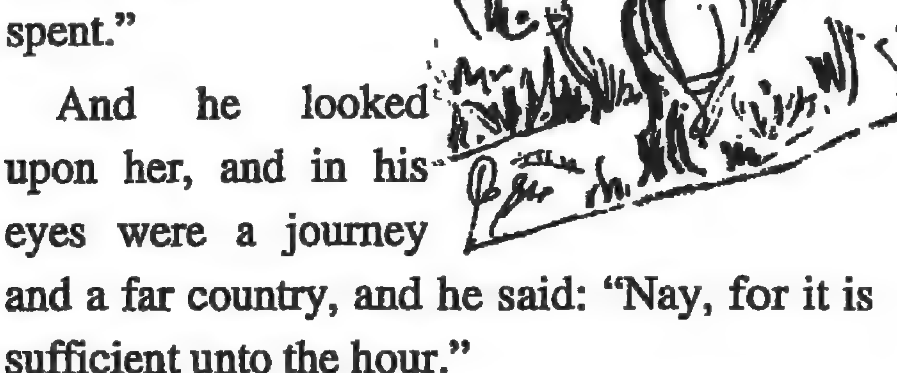


آخر ما تبقّى من الخمر في الكؤوس. وبينما هي تصبّ الخمر توسّلت إلى المعلّم قائلة: "إيذن لي أن أمضي إلى المدينة فآتي بخمر أملأ بها كؤوسكم من جديد، فقد فرغ ما عندنا منها.

وألقى المصطفي عليها نظرة، وتمثّلت في عينيه رحلة وبلد بعيد وقال: «حَسْبُك، فما عندنا يكفينا الآن».

وطَعِمُوا وشربُوا وشبعوا.

وبعد أن فرغوا، تكلّم المصطفي بصوت عريض عميق كالبحر، ممتلئ كالمدّ الوافي في ضوء القمر، وقال: «أيْ صحابي ورفاقي في الطريق، لا مفرّ اليوم من الفراق، فما أكثر ما ركبنا مَتْنَ البحار المخوفة، وما أكثر ما تسلّقنا أوعر الجبال مُرْتقى، وما أكثر ما صارعنا العواصف. ولقد بَلَوْنا الجوع، غير أننا قد جلسنا أيضا



it the bread and the fish and poured the last of the wine into the cups. And as she poured, she besought the Master saying: "Give me leave that I go into the city and fetch wine to replenish your cups, for this is spent."

And he looked upon her, and in his eyes were a journey and a far country, and he said: "Nay, for it is sufficient unto the hour."

And they ate and drank and were satisfied.

And when it was finished, Almustafa spoke in a vast voice, deep as the sea and full as a great tide under the moon, and he said: "My comrades and my road-fellows, we must needs part this day. Long have we sailed the perilous seas, and we have climbed the

إلى مآدب العُرس . وما أكثر ما كابدنا العُري ، غير أننا أيضا قد ارتدينا فاخر الثياب . حقّا قد رحلنا بعيداً ، ولكن آن لنا الآن أن نفترق ، ولسوف تمضون جميعا في سبيل ، أما أنا فقد حُقَّ عليّ أن أمضي وحدي في سبيلي» .

ولسوف تُباعد بيننا البحار والأراضي الشاسعة ، غير أننا سنظل رفقاء سفر في رحلتنا إلى الجبل المقدّس .

«وإني لأودّ أن أُزجي إليكم ثمرات قلبي وما تبقّى من حصاده ، قبل أن يذهب كلٌ منّا في طريق :

«فلتَمْضُوا في طريقكم صادحين بالغناء ، ولتُوجزوا في كل أغنية ، فالأُغنيات القصار فوق شفاهكم هي وحدها التي ستحيا في قلوب الناس» .

«واذكروا الحقَّ الجميل في كلمات قليلة ، وحذار أن تذكروا الحق المرير بأية كلمة . قولوا للصبيّة العذراء التي يتألق شعرُها في الشمس إنها ابنة الصباح . فإذا رأيتم الضّرير فحذار أن تقولوا له إنه وظلام الليل شيء واحد .

steepest mountains and we have wrestled with the storms. We have known hunger, but we have also sat at wedding-feasts. Oftentimes have we been naked, but we have also worn kingly raiment. We have indeed travelled far, but now we part. Together you shall go your way, and alone must I go mine.

"And though the seas and the vast lands shall separate us, still we shall be companions upon our journey to the Holy Mountain.

"But before we go our severed roads, I would give unto you the harvest and the gleaming of my heart:

"Go you upon your way with singing, but let each song be brief, for only the songs that die young upon your lips shall live in human hearts.

"Tell a lovely truth in little words, but never an ugly truth in any words. Tell the maiden whose hair shines in the sun that she is the daughter of the morning. But if you shall behold the sightless, say not to him that he is one with night.



"Listen to the flute-player as it were listening to April, but if you shall hear the critic and the fault-finder speak, be deaf as your own bones and as distant as your fancy.

"My comrades and my beloved, upon your way you shall meet men with hoofs; give them of your wings. And men with horns; give them wreaths of laurel. And men with claws; give them petals for fingers. And men with forked tongues; give them honey for words.

«اصغوا إلى نافخي النّايْ كما لو كنتم تصغون إلى أناشيد نيسان، أما إذا استمعتم إلى الناقد والعيّاب، فلتكونوا صُمّا كعظامكم مُتسامين كخيالكم».

«أي رفاقي وأحبابي، لسوف تلتقون في طريقكم بأناس ذوي حوافر، فلتُعطوهم من أجنحتكم، وأناس ذوي قرون، فلتتوّجوهم بأكاليل الغار، وأناس ذوي مخالب، فلتعوّضوهم عن أصابعهم بتلات الزهر، وأناس ذوي ألسنة لاذعة كالشّوك، فلتَهبُوهم نظيرَ كلماتهم شَهداً يَقْطُر.

صفحة فارغة

نعم ستلتقون بكل أولئك وأكثر، ستلتقون بالأعرج يبيع العصيّ، وبالضّرير يبيع المرايا، وبالأثرياء يمدّون أيديهم بالسؤال عند باب المعبد.

فأعطوا الأعرجَ من خفّتكم، وللضّرير من بَصَركم، واعملوا على أن تبذلوا من أنفسكم للسائلين الأثرياء فهم أشدّ الناس حاجة. أجل، فما من إنسان يمدّ يده بالسؤال إلا إذا كان فقيرا حقا، وإن كان غنيّا واسع الثراء.

أي رفاقي وصحابي، أناشدكم بما بيننا من حب أن تكونوا في الصحراء سُبُلا تلتقي، تسير فيها السّباع والغزلان كما تسير أيضا الذئاب والحملان.

ولتذكروا هذا عنّي، أنا لا أعلّمكم العطاء بل الأخذ، ولا أعلّمكم الجحودَ والنكران بل البرّ والوفاء؛ لا أعلّمكم الاستسلام بل الفهم والإدراك، والابتسامة تعلو شفاهكم.

أنا لا أعلّمكم الصَّمت، بل أعلّمكم أن تغنّوا بصوت غير جهير.

"Ay, you shall meet all these and more; you shall meet the lame selling crutches; and the blind, mirrors. And you shall meet the rich men begging at the gate of Temple.

"To the lame give of your swiftness, to the blind of your vision; and see that you give of yourself to the rich beggars; they are the most needy of all, for surely no man would stretch a hand for alms unless he be poor indeed, though of great possessions.

"My comrades and my friends, I charge you by our love that you be countless paths which cross one another in the desert, where the lions and the rabbits walk, and also the wolves and the sheep.

"And remember this of me: I teach you not giving, but receiving; not denial, but fulfilment; and not yielding, but understanding, with the smile upon the lips.

"I teach you not silence, but rather a song not over-loud.



أنا أهديكم إلى ذاتكم العليا التي وسعت الإنسانية جمعاء.

ونهض من على المائدة، ومضى إلى الحديقة لا يلوي على شيء، وسار تحت ظلال أشجار السَّرو، بينما النهار يولّي، وتبعه حواريّوه عن بُعد، فقد ناءت قلوبهم بالهموم وانعقدت ألسنتهم.

غير أن «كريمة» وحدها، ألقت بقايا المائدة، ثم أقبلت عليه وقالت: «أودّ لو تسمح لي أيّها المعلّم بأن أعدّ زاداً للغد ولرحلتك».

فنظر إليها المصطفي بعينيْن تُبصران عوالم أخرى غير هذا العالم، وقال: «أختاه، يا حبيبتي، إنه لمكفولٌ منذ الأزل... الطعامُ والشّرابُ مكفولان للغد كما كانا مكفوليْن بالأمس، وكما هما مكفولان اليوم».

«إني لراحلٌ، ولكني إن رحلتُ وفي عنقي حق لم أنطق به، عاد هذا الحقّ نفسه فسعى إليّ وضمّني وجمع أشتاتي المبعثرة في سكنات الخلود. وسأمْثُلُ

"I teach you your larger self, which contains all men."

And he rose from the board and went out straightway into the Garden and walked under the shadow of the cypress-trees as the day waned. And they followed him, at a little distance, for their heart was heavy, and their tongue clave to the roof of their mouth.

Only Karima, after she had put by the fragments, came unto him and said: "Master, I would that you suffer me to prepare food against the morrow and your journey."

And he looked upon her with eyes that saw other worlds than this, and he said: "My sister, and my beloved, it is done, even from the begining of time. The food and the drink is ready, for the morrow, even as for our yesterday and our today.

"I go, but if I go with a truth not yet voiced, that very truth will again seek me and gather me, though my elements be scattered



أمامَك مرّة أخرى لأخاطبك بصوت جديد، يخرج إلى الحياة من قلب هذاَ السكون المطلق الذي لا يعرفُ الحدود».

«فإن كانت قد بقيت فَضْلةٌ من جمال لم أكشف لكم عنها فسوف يُنادَى عليّ مرة أخرى. أجل، سأُنادَى باسمي المصطفي، فأوافيكم بآية حتى تعلموا أنني قد عُدت لأحدّثكم بكل ما ينقصكم، لأن الله لا يحبّ أن يحجبَ نفسه عن الناس، أو أن تنطوي كلمته في أغوار قلب الإنسان».

«ولسوف أحيا بعد الممات، وألقي بأناشيدي في آذانكم حتى بعد أن تردّني موجة البحر المديدة إلى أعماق البحر الرحيب».

لسوف أجلس إلى موائدكم وإن غاب عنكم جسدي.

وأمضي معكم إلى حقولكم، روحا خفيّة لا تراها العين.

وأوافيكم عند االمُصْطلَى في عُقر دوركم ضيفًا لا يُبصره أحد.



throughout the silences of eternity, and again shall I come before you that I may speak with a voice born anew out of the heart of those boundless silences.

"And if there be aught of beauty that I have declared not unto you, then once again shall I be called, ay, even by mine own name, Almustafa, and I shall give you a sign, that you may know I have come back to speak all that is lacking, for God will not suffer Himself to be hidden from man, nor His word to lie covered in the abyss of the heart of man.

"I shall live beyond death, and I shall sing in your ears
Even after the vast sea-wave carries me back to the vast sea depth.
I shall sit at your board though without a body,

And I shall go with you to your fields, a spirit invisible.

I shall come to you at your fireside, a guest unseen.



فالموت لا يغيّر شيئا سوى الأقنعة التي تحجب وجوهنا.

الحطّاب سيظلّ حطّابا.

والفلاح سيظلّ فلاحا.

وذلك الذي شدا بأغنيته إلى الرياح سيظلّ يشدو بها أيضا إلى الأجرام في مسراها.

و وجم المريدون وكأنهم الحجارة، وحزنت قلوبهم لقوله: «إني لراحل». لكن واحدا منهم لم يمدّ يدا محاولا استبقاءه، ولا تَبعه أحد في مسيرته.

وانطلق المصطفي من حديقة أُمه بخُطًى سريعة لا يُسمع لها صوت، ومضى عنهم بعيدا في لحظة كورقة دفعتها الريح العاصفة دفْعًا، ثم تراءى لهم كأنما هو ضوء شاحب راح يصعد إلى الذّرى.

Death changes nothing but the masks that cover our faces.

The woodsman shall be still a woodsman,

The ploughman, a ploughman,

And he who sang his song to the wind shall sing it also to the moving spheres"

And the disciples were as still as stones, and grieved in their heart for that he had said: "I go." But no man put out his hand to stay the Master, nor did any follow after his footsteps.

And Almustafa went out from the Garden of his mother, and his feet were swift and they were soundless; and in a moment, like a blown leaf in a strong wind, he was far gone from them, and they saw, as it were, a pale light moving up to the heights.



And the nine walked their ways down the road.

But the woman still stood in the gathering night, and she beheld how the light and the twilight were become one; and she comforted her desolation and her aloneness with his words: "I go, but if I go with a truth not yet voiced, that very truth will seek me and gather me, and again shall I come."

وهبط المريدون التسعة إلى الطريق يمضون إلى حال سبيلهم.

وظلت المرأة وحدها واقفة في الليل المتكاثف، ورأت كيف يجتمع الضوء بغُبْشة الغَسَق، وتعزّت في وحشتها ووحدتها بقوله: «إني لراحل، ولكني إن رحلتُ وفي عنقي حق لم أنطق به، عاد هذا الحق نفسه فسعى إليّ وضمّني، فأعود مرة أخرى».

صفحة فارغة

وكان المساء قد حلّ. وبلغ المصطفي التلال، وقادته قدماه إلى غمرة الضّباب، ووقف بين الصخور وأشجار السَّرْو البيضاء محتجبا عن كل شيء، ثم هتف قائلا:

«إيه أيتها الغمامة، يا أخت روحي، ما أنت إلا أنفاس ناصعة لم تستقر بعدُ على حال.

إني أعود إليك، أنفاسا ناصعة بلا صوت،

بل كلمة مكنونة لم ينطق بها لسان.

إيه أيتها الغمامة، يا أخت روحي ذات الجُناح، لقد اجتمع شملنا الآن.

ولنْ يفرّق شملَنا أحدٌ حتى يوم آخر يكون للحياة،

حينَ يَنْثُرُك فجرُهُ على مهاد الحديقة قطرات من النّدى.

وحين يطرحُني رضيعًا على صدر امرأة،

فنكونُ من الذّاكرين.

إيه أيتها الغمامة، يا أخت روحي، إني أعود قلبا يصغي من أعماقه، كقلبكِ.

And now it was eventide. And he had reached the hills. His steps had led him to the mist, and he stood among the rocks and the white cypress-trees hidden from all things, and he spoke and said:

"O Mist, my sister, white breath not yet held in a mould,

I return to you, a breath white and voicless,

A word not yet uttered.

"O Mist, my winged sister mist, we are together now,

And together we shall be till life's second day,

Whose dawn shall lay you, dewdrops in a garden,

And me a babe upon the breast of a woman,

And we shall remember.

"O Mist, my sister, I come back, a heart listening in its depths,

Even as your heart,

صفحة فارغة

صفحة فارغة

ورغبةً تختلج بلا هدف، كرغبتكِ،

وفكرةً لم تكتمل، كفكرتكْ.

إيه أيتها الغمامة، يا أختَ روحي، وأوّلَ مَن ولدته أُمّي.

ما زالت يدايّ مُمْسكةً بالبذور الخضراء التي شئت لي أن أنثرها.

وشفتايْ قد جَمُدَتا على الأغنية التي شئتِ لي أن أنشدَها.

ولم آت إليك بثمرة، ولم أحمل إليك صدًى.

فقد عميتْ يدايْ وجَمُدَت شفتايْ.

إيه أيتها الغمامة، يا أخت روحي، لشدّ ما أحببتُ الدنيا، وأحبّتني الدنيا.

فقد تمثّلت بسماتي كلها على شفتيْها، وانسابت ذموعها جميعا من مآقي.

على أنه قد وقف بيني وبينها حاجزٌ من السكون،

لم تشأ هي أن تقطعه،

A desire throbbing and aimless even as your desire,

A thought not yet gathered, even as your thought.

"O Mist, my sister, first-born of my mother,

My hands still hold the green seeds you bade me scatter,

And my lips are sealed upon the song you bade me sing;

And I bring you no fruit, and I bring you no echoes,

For my hands were blind, and my lips unyielding.

"O Mist, my sister, much did I Love the world, and the world loved me,

For all my smiles were upon her lips, and all her tears were in my eyes.

Yet there was between us a gulf of silence which she would not abridge

ولم أستطع أنا عبوره .

إيه أيتها الغمامة ، يا أختَ روحي ، يا أختَ الروح الخالدة .

إني شدوتُ بأغانيّ العريقة لأطفالي الصّغار .

ولقد أصغَوْا إليها وعَلَتْ وجوههم دهشة .

مَنْ يدري لعلّهم ينسون الأغنية في غد .

ولست أدري إلى مَنْ تحملُ الريحُ الأغنيةَ بعدهم .

فلم أكن أنا صاحبَها ، وإن سرَت في قلبي

واستقرّت لحظة على شفتيّ .

إيه أيتها الغمامة ، يا أختَ روحي .

لقد نزلت السّكينة على قلبي
على الرغم من كل ما مرّ بي .

وحسبي أنني غنّيتُ لأولئك الذين وُلدوا بالأمس .

فإن لم يكن الغناء في الحق غنائي ،

And I could not overstep.

"O Mist, my sister, my deathless sister Mist,

I sang the ancient songs unto my little children,

And they listened, and there was wondering upon their faces

But to-morrow perchance they will forget the song.

And I know not to whom the wind will carry the song,

And though it was not mine own, yet it came to my heart

And dwelt for a moment upon my lips.

"O Mist, my sister, though all this came to pass,

I am at peace.

It was enough to sing to those already born.

And though the singinng is indeed not mine,



فقد انبثق من رغبات قلبي الدفينة .

إيه أيتها الغمامة ، يا أختَ روحي ، أيتها الغمامة الشقيقة .

أنا الآن أنت .

ولن أكونَ ذاتًا بعد .

الأسوارُ قد تداعت .

والقيود قد تفككت .

وإني لأصعدُ إليك ، ضبابةً أخرى .

ومعا سنطفو على أديم البحر ، حتى يوم الحياة الآخر ،

حين ينشرك فجرُه على مهاد الحديقة ، قطراتٍ من النّدى ،

وحين يطرحني رضيعًا على صدر امرأة» .

Yet it is of my heart's deepest desire.

"O Mist, my sister Mist,

I am one with you now.

No longer am I a self.

The walls have fallen,

And the chains have broken;

I rise to you, a mist,

And together we shall float upon the sea until life's second day,

When dawn shall lay you, dewdrops in a garden,

And me babe upon the breast of a woman."



صفحة فارغة

صفحة فارغة

«أقوال النقاد في هذا الكتاب»



أسلوب «المعلّم» في «النبي» مهما يكن فيه من روح الشعر يظل أقرب إلى طبيعة الفكر الذي يتأمل أحوال المجتمع والسلوك والأخلاق، أما أسلوب «الصوفي» أو «الناسك» الذي خلا إلى نفسه في «حديقته» أربعين يوما قبل أن يخرج إلى الناس، فنثر شعري ذو طابع وجداني غالب في الرؤية والتعبير والتصوير، يتحدث عن أمور مطلقة يتأمل فيها وجود الإنسان وصلته بالطبيعة وبالخالق، ويتحدّث عن حنينه إلى عالمه الروحي الأول الذي يصعد إليه في نهاية الكتاب خلال ضبابة يغنّي لها ويمتزج بها.

وحين يتصدّى المترجم لمثل هذه النظرات الروحية المجرّدة وأسلوبها الشعري الرمزي أو الرومانسي يضع نفسه موضع الكاتب ويحاول أن يرى الحياة رؤيته الشعريّة والصوفيّة ويعبّر ـ كما عبّر ـ بمفردات الشعر وتراكيبه الأسلوبية ومجازاته وأخيلته وإيقاعه. وترجمة الدكتور ثروت لتلك المقاطع ذات الطابع الشعري من «حديقة النبي» نموذج للترجمة التي تجمع بين معاني النص وما وراءها من رموز، وتوفّق إلى المقابل العربي الصحيح والجميل للنص الإنجليزي، دون أن يغريه ثراء اللغة العربيةفي هذا المجال بالابتعاد عن الأصل أو الإضافة إليه إلا ما تقتضيه أحيانا طبيعة الإيقاع أو توازن الجمل لتكون الترجمة أقرب ما تكون إلى طبيعة اللغة العربية، أو ما يجلبه المترجم لبعض المفردات أو التراكيب الأسلوبية. وقد يوضّح ما في ترجمة الدكتور ثروت من حرص على الأمانة، وعلى ما في نثر جبران من سمات الشعر، وما في الترجمة من قدرة على اختيار المفردات وبناء الأسلوب ورسم الصور المجازية دون خروج على طبيعة النص، أن نقارن بين مقطوعة من كتاب جبران وترجمتها عند الدكتور ثروت، تلك الترجمة التي تبقى نصّا عربيا مكتمل الخصائص في مفرداته وأسلوبه وإيقاعه يجاري ما في نص جبران من تلك الخصائص، وينقل إلى القارئ العربي روح المؤلف وسمات أسلوبه الفنية.

د. عبد القادر القط



« إننا لنجد المتعة والفائدة جميعًا في قراءة المقدمة المستفيضة التي ضمّنها الدكتور ثروت عكاشة عصارة قلبه وعلمه حتى يصل إلى أغوار ما هو جدير بالتقدير والإعجاب في أعمال جبران، ويبرزه للقارئ من خلال المقدّمة التي تضم قائمة مراجع قيّمة مختارة، ولكننا إن أردنا أن نقف على موهبة المترجم فينبغي علينا أن نقرأ النص المنقول إلى العربية لنرى كيف وفّق المترجم في نقل إيقاع الجملة الإنجليزية والإلقاء الملحّن الذي يربط بين هذا الشعر وما تنشده جوقة الكوروس في المأساة الإغريقية، وهذا الأسلوب الإلماحي الحافل بالمفارقات الذي يعيد إلى الأذهان أسلوب [هكذا تكلم زرادشت]. والترجمة عن مؤلف مثل جبران قد تحدو بالمترجم أن يتردّى في خطإ جسيم وهو الخضوع لإغراء استخدام أساليب تعبيرية عتيقة في اللغة العربية وكلمات متقعّرة عفّى عليها الدهر لإضفاء العمق، مع اختيار الأسلوب الغنائي للشعر، لكن الدكتور عكاشة نجح في تجنّب مثل هذه العثرة بعناية مقصودة. فلقد احتفظت جملة العربية بانسياب الجمل الإنجليزية عينه، كما احتفظت بطابعها الوعظي نفسه، وبتدفّقها النبيل، وبتلك النغمة الهامسة التي تنزع إلى الحزن والتي تغلّف أسلوب جبران دومًا»

الأب جورج قنواتي

(عن مقال له بالفرنسية)



«أكاد أقول إن موعظة نبي جبران لا تترجم ترجمة أصيلة إلا بطريقة ثروت عكاشة لأنها نسج على «موعظة الجبل»، وهي دليل على أن الدكتور عكاشة لا يتقن الإنجليزية فحسب بل ويحسّها بوجدانه . . فلنقل إذن إنه ترجم فأجاد الترجمة في عامة مواضع «حديقة النبي». وأول مظهر من مظاهر هذه الإجادة أنه حافظ على روح الكاتب وطابعه . . فأطلع القارئ العربي على نمط في الشعور والتفكير والتعبير لم نألف أن نراه في غير التراث الرومانسي والتراث الرمزي. وليس هذا مصادفة لأن ثروت عكاشة فيما يبدو مفتتن بجبران افتتانًا قويًا فتجاوب معه بحسّه ووجدانه وخياله. وإني إذ أحييه فلأنه عني عناية لا تتجاوزها عناية بهذا الكاتب الذي يعدّ فيما نعرف من أقرب كتّابنا إلى التراث العالمي. وتحية أخرى للدكتور المترجم لما قام به من إحياء للأدب الرومانسي عن طريق عنايته بأعمال جبران».

د. لويس عوض

«لفتني من البداية أن الترجمة محتفظة بروح النص أمينة على دلالته مبقية على رمزيته بكل إيحائها المثير».

بنت الشاطئ



«ترجمة رائعة امتازت بالدقة في التزام الأصل مع المحافظة على المعاني في أسلوب عربي قويم خال من العجمة والاضطراب مما يستحق التقدير والثناء والإجلال».

أحمد بدران

«وأيم الحق لست أدري أأشيد بدقة الترجمة التي عاشت مع جبران وغاصت إلى أعماق نفسه وأغوار البشرية وفصّلت لعرائس الوحي والخيال عنده أبرادا من الأسلوب العالي جلت جمالها أروع جلوة، أم أشيد بالمقدمة العظيمة الزاخرة بالعلوم والمعارف مسرودة بأحكم بيان وأعذبه. ويتقاضاني الحق أن أقول إن مقدمة دكتور عكاشة لكتاب «حديقة النبي» هي من أكمل ما عرفنا حتى اليوم من مقدمات تعدّ من الأصول الثوابت فيما عرضت له من علم وأدب، ولا أعجب فأنما تفتّقت عن صدر واع وذهن خلاق وقلم طيّع سيّال».

عادل الغضبان



«لقد أدرك الدكتور ثروت عكاشة روح جبران فكتب الترجمة وكأنه يكتب أسطورة شرقية بكل ما فيها من رموز وإيحاءات. لم يكن يترجم النص ترجمة حرفية، إنما كان يتصور وقع الجملة الأصلية على قارئها وما تحدثه فيه من أثر، ثم يبحث عن الجملة العربية المقابلة في إحداث نفس الأثر حتى يقع عليها فيصوغها في إطار الأسلوب الأسطوري الذي نسج منه ترجمته. ولهذا قد تجد مرادفات عربية لا مقابل لها في الأصل الإنجليزى، ولكنك عندما تحاول أن تصوغ الجملة الإنجليزية صياغة أخرى لا تستطيع، وأعتقد أن هذا أعلى مراتب الترجمة، وأنه لا يمكن للمترجم أن يكون شفّافًا كل هذه الشّفافية بالنسبة لروح الكاتب الذي ينقل عنه مالم يكن قد قرأ كل أعماله وعاش فيها طويلا واختمرها حتى أصبحت جزءاً من كيانه»

أحمد عباس صالح



ثبت ببليوجرافي
لصاحب هذه الترجمة

موسوعة تاريخ الفن : العين تسمع والأذن ترى (*) .

١ ـ الفن المصرى القديم : العمارة	دراسة	طبعة أولى ١٩٧١
	دراسة	طبعة ثالثة ١٩٩٩
٢ ـ الفن المصرى القديم : النحت والتصوير	دراسة	طبعة أولى ١٩٧٢
		طبعة ثالثة ١٩٩٩
٣ ـ الفن المصرى القديم : الفن السكندرى والقبطى	دراسة	طبعة أولى ١٩٧٦
		طبعة ثانية ٢٠٠٠
٤ ـ الفن العراقى القديم		طبعة أولى ١٩٧٤
٥ ـ التصوير الإسلامى : الديني والعربي	دراسة	طبعة أولى ١٩٧٨
٦ ـ التصوير الإسلامى : الفارسى والتركى	دراسة	طبعة أولى ١٩٨٣
٧ ـ الفن الإغريقى	دراسة	طبعة أولى ١٩٨١
٨ ـ الفن الفارسى القديم	دراسة	طبعة أولى ١٩٨٩
٩ ـ فنون عصر النهضة (الرنيسانس والباروك)	دراسة	طبعة أولى ١٩٨٨
الرنيسانس	دراسة	طبعة فاخرة ١٩٩٦
الباروك	دراسة	طبعة فاخرة ١٩٩٧
الروكوكو	دراسة	طبعة فاخرة ١٩٩٨
١٠ ـ الفن الرومانى	دراسة	طبعة أولى ١٩٩١

(*) (الصور الملونة بالطبعات الأولى من الأجزاء العشرة الأولى من هذه الموسوعة طبعت بمؤسسة رينبرد للطباعة بلندن على نفقة المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو») .

العنوان	النوع	الطبعة
١١ ـ الفن البيزنطى	دراسة	طبعة أولى ١٩٩٣
١٢ ـ فنون العصور الوسطى	دراسة	طبعة أولى ١٩٩٤
١٣ ـ التصوير المغولى الإسلامى فى الهند	دراسة	طبعة أولى ١٩٩٥
١٤ ـ الزمن ونسيج النغم	دراسة	طبعة أولى ١٩٨٠
(من نشيد أبوللو إلى أوليڤييه ميسيان)	دراسة	طبعة ثانية ١٩٩٥
١٥ ـ القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية	دراسة	طبعة أولى ١٩٨١
	دراسة	طبعة ثانية ١٩٩١
١٦ ـ الإغريق بين الأسطورة والإبداع	دراسة	طبعة أولى ١٩٧٨
		طبعة ثانية ١٩٩٤
١٧ ـ ميكلانجلو	دراسة	طبعة أولى ١٩٨٠
١٨ ـ فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى	دراسة	طبعة أولى ١٩٧٤
[أثر إسلامى مصور]		طبعة ثانية ١٩٩٢
١٩ ـ معراج نامه [أثر إسلامى مصور]	دراسة	طبعة أولى ١٩٨٧

أعمال الشاعر أوڤيد

العنوان	النوع	الطبعة
٢٠ ـ ميتامورفوزيس [مسخ الكائنات]	ترجمة	طبعة أولى ١٩٧١
		طبعة رابعة ١٩٩٧
		طبعة خامسة ١٩٩٧ (مكتبة الأسرة)
٢١ ـ آرس أماتوريا [فن الهوى]	ترجمة	طبعة أولى ١٩٩٥
		طبعة ثالثة ١٩٩١

أعمال جبران خليل جبران

العنوان	النوع	الطبعة
٢٢ ـ النبى : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى ١٩٥٩
		طبعة تاسعة ١٩٩٩
٢٣ ـ حديقة النبى : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٠
		طبعة ثامنة ١٩٩٩

٢٤ـ عيسى ابن الإنسان : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٢
		طبعة خامسة ١٩٩٩
٢٥ـ رمل وزبد : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٣
		طبعة سادسة ١٩٩٩
٢٦ـ أرباب الأرض : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٥
		طبعة رابعة ١٩٩٩
٢٧ـ روائع جبران خليل جبران. الأعمال المتكاملة	ترجمة	طبعة أولى ١٩٨٠
		طبعة ثانية ١٩٩٠
٢٨ـ كتاب المعارف لابن قتيبة	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٠
		طبعة سادسة ١٩٩٢
٢٩ـ مولع بڤاجنر : لبرناردشو	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٥
		طبعة ثانية ١٩٩٢
٣٠ـ مولع حلو بڤاجنر	دراسة نقدية	طبعة أولى ١٩٧٥
		طبعة ثانية ١٩٩٣
٣١ـ المسرح المصرى القديم : لإتيين دريوتون	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٧
		طبعة ثانية ١٩٨٩
٣٢ـ إنسان العصر يتوّج رمسيس	ترجمة	طبعة أولى ١٩٧١
٣٣ـ فرنسا والفرنسيون على لسان الرائد	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٤
طومسون : لبيير دانينوس		طبعة ثانية ١٩٨٩
٣٤ـ إعصار من الشرق أو جنكيزخان	دراسة	طبعة أولى ١٩٥٢
		طبعة خامسة ١٩٩٢
٣٥ـ العودة إلى الإيمان : لهنرى لنك	ترجمة	طبعة أولى ١٩٥٠
		طبعة رابعة ١٩٩٦

٣٦ ـ السيد آدم : لبات فرانك	ترجمة	طبعة أولى ١٩٤٨
		طبعة ثانية ١٩٦٥
٣٧ ـ سروال القس : لثورن سميث	ترجمة	طبعة أولى ١٩٥٢
		طبعة ثانية ١٩٧٦
٣٨ ـ الحرب الميكانيكية : للجنرال فولر	ترجمة	طبعة أولى ١٩٤٢
		طبعة ثانية ١٩٥٢
٣٩ ـ قائد البانزر : للجنرال جوديريان	ترجمة	طبعة أولى ١٩٦٠
٤٠ ـ حرب التحرير	تأليف بالمشاركة	طبعة أولى ١٩٥١
		طبعة ثانية ١٩٦٧
٤١ ـ تربية الطفل من الوجهة النفسية	ترجمة بالمشاركة	طبعة أولى ١٩٤٤
٤٢ ـ علم النفس فى خدمتك	ترجمة بالمشاركة	طبعة أولى ١٩٤٥
٤٣ ـ مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء (١٨٠٠ ـ ١٩٠٠)	دراسة	طبعة أولى ١٩٨٤
		طبعة ثانية ١٩٩٨
٤٤ ـ مذكراتى فى السياسة والثقافة	تأليف	طبعة أولى ١٩٨٨
		طبعة ثانية ١٩٩٠
		طبعة ثالثة ٢٠٠٠
٤٥ ـ المعجم الموسوعى للمصطلحات الثقافية [إنجليزى ـ فرنسى ـ عربى]	إعداد وتحرير	طبعة أولى ١٩٩٠
٤٦ ـ موسوعة التصوير الإسلامى	دراسة	طبعة أولى ١٩٩٠

بالفرنسية

٤٧ - Ramsès Re-Couronné: Hommage Vivant au Pharaon Mort, " UNESCO ' 1974.

بالإنجليزية

٤٨- **In The Minds of Men. Protection and Development of Mankind's Cultural Heritage.** "UNESCO " 1972.

٤٩- **The Muslim Painter and the Divine. The Persian Impact on Islamic Religious Painting.** Rainbird Publishing Group, Park Lane Publishing Press. London 1981.

٥٠- **The Miraj - Mameh : A Masterpiece of Islamic Painting.** Pyramid Studies and other Essays Presented to I.E.S. Edwards, The Egypt Exploration Society. London 1988.

أبحـــاث

* The Portrayal of The Prophet. The Times Literary Supplement, 31 December 1976.

* Problématique de la Figuration dans l'art Islamique.
La Figuration Sacrée.
La Figuration Profane.
Plastique et musique dans l'art pharaonique.
Wagner entre la théorie et l'application.

سلسلة محاضرات ألقيت بالكوليج ده فرانس بباريس
خلال شهري يناير ومارس ١٩٧٣ .

Annuaire du Collège de France , 73 Année. Paris, 11, Place Marcelin Bertholet 1973.

* المشكلات المعاصرة للفنون العربية . مؤتمر منظمة اليونسكو المنعقد بمدينة الحمامات . تونس ١٩٧٤ .

* حرية الفنان . لمنظمة اليونسكو . نشر بمجلة عالم الفكر . المجلد الرابع يناير ١٩٧٤ . الكويت .

* رعاية الدولة للثقافة والفنون . محاضرة ألقيت بنادى الجسرة الثقافى بالدوحة . (دولة قطر). فبراير ١٩٨٩ .

* سبيل إلى تعميم مدن التكنولوجيا « تكنوبوليس » فى الوطن العربى . دراسة لندوة العالم العربى أمام التحدى العلمى والتكنولوچى . معهد العالم العربى بباريس . يونيه ١٩٩٠ .
* إطلالة على التصوير الإسلامى العربى والفارسى والتركى والمغولى . محاضرة ألقيت بالمجمع الثقافى بأبى ظبى . أبريل ١٩٩١ .
* الدولة والثقافة . وجهة نظر من خلال التجربة . محاضرة بندوة الثقافة والعلوم . دبى . نوفمبر ١٩٩٣ .
* التصوير الإسلامى بين الإباحة والتحريم . بحث ألقى فى الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية بعمّان . الأردن . فى المدة من ٥ إلى ٧ يوليه ١٩٩٥ .
* تساؤلات حول هويّة التصاوير الجدارية فى پايستوم . بحث ألقى فى مؤتمر « مصر إيطاليا منذ القدم حتى العصور الوسطى» المنعقد بروما فى المدة من ١٣ إلى ١٩ نوفمبر ١٩٩٥ .
* الفن والحياة . محاضرة ألقيت ببهو قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة فى ٦ مارس ١٩٩٦ . الموسم الثقافى الفنى لجامعة القاهرة ، ثم فى المجمع الثقافى بأبى ظبى . أبريل ١٩٩٦ .
* نظرية الفن. محاضرة ألقيت بالمجمع الثقافى. أبو ظبى. إبريل ١٩٩٦ .
* التطهرّ النفسي من خلال الفن. محاضرة ألقيت بدعوة من مجلة الطب النفسي (محاضر عكاشة) بفندق مريديان القاهرة. يوليه ١٩٩٧ .
* فنون عصر النهضة «الرنيسانس». محاضرة ألقيت بدعوة من مجلة الطب النفسي (محاضرة عكاشة) بفندق مريديان القاهرة. يوليه ١٩٩٧ .
* فنون عصر النهضة «الباروك». محاضرة ألقيت بالمجمع الثقافي. أبو ظبى فى ١١ نوفمبر ١٩٩٧ .
* فنون عصر النهضة «الروكوكو». محاضرة ألقيت بالمجمع الثقافي. أبو ظبي فى ١٠ مارس ١٩٩٩ .

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)